غادة السمان

اعلنت عليك الحب

منشورات غادة السمان

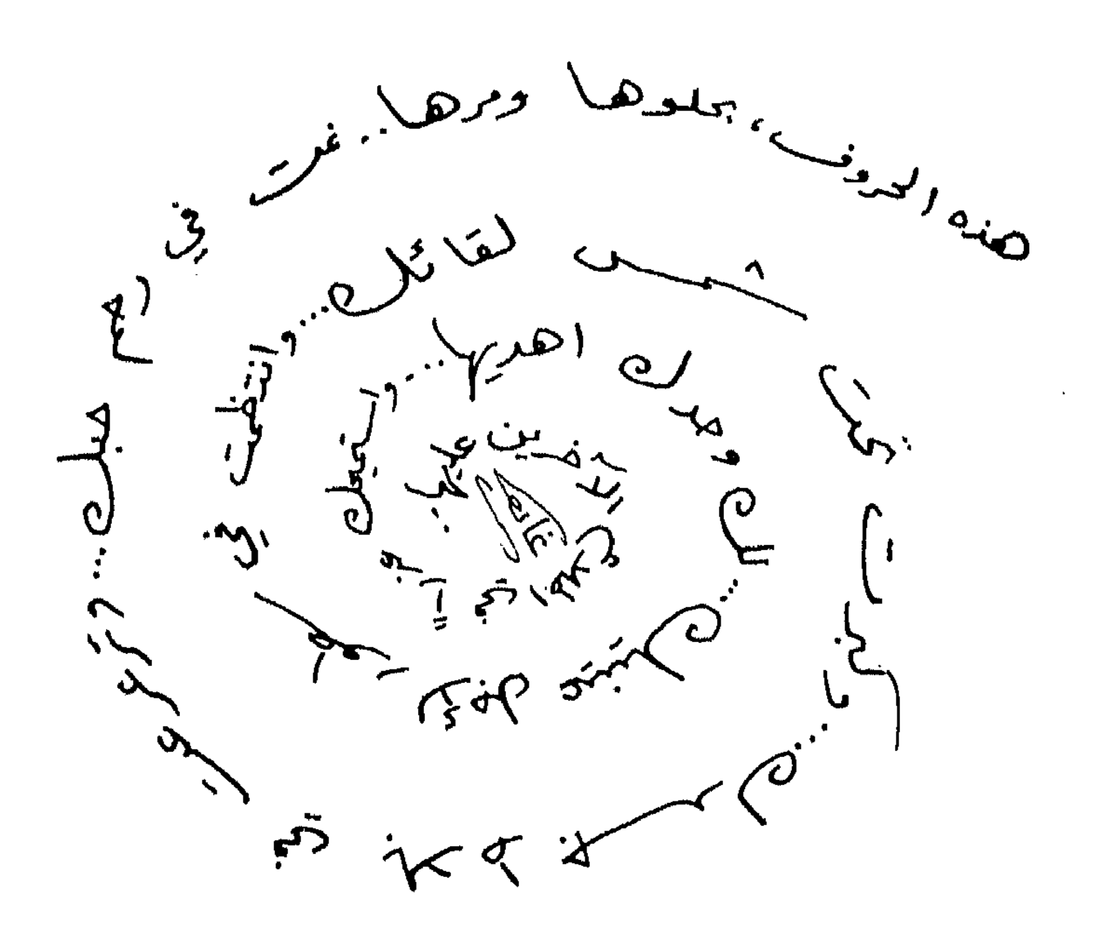
الرسوم الفنية للكتاب تنشر لأول مرة
بإذن خاص من الفنان
رفيق شرف

لوحـــة الغلاف الاول : الفنان رينيه ماجريت رسمها عام ١٩٥٢
تصميم الغلاف والخطوط : الفنان حسين ماجـــد
تنفيـــذ الغـــلاف : الفنان نبيل البقيلي .

منشورات غادة السمان
بيروت ـ ص. ب ١٨١٣ ـ ١١
تلفون : ٣١٤٦٥٩
فاكس ٣٠٩٤٧٠ ـ ١ ـ ٩٦١

الطبعة الأولى : آذار (مارس) ١٩٧٦
الطبعة الثانية : حزيران (يونيو) ١٩٧٧
الطبعة الثالثة : آذار (مارس) ١٩٧٨
الطبعة الرابعة : ايلول (سبتمبر) ١٩٧٨
الطبعة الخامسة : ايلول (سبتمبر) ١٩٧٩
الطبعة السادسة : تشرين الأول (اوكتوبر) ١٩٨٠
الطبعة السابعة : شباط (فبراير) ١٩٨٣
الطبعة الثامنة : حزيران (يونيو) ١٩٨٥
الطبعة التاسعة : كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٩
الطبعة العاشرة : شباط (فبراير) ١٩٩٦

الإهداء



هاتف ليلي

آه صوتك صوتك !
يأتيني مشحوناً بحنانك ،
وتتفجر الحياة حتى
في سماعة الهاتف القارسة .

●

آه صوتك صوتك !
— ويتوقف المساء حابساً أنفاسه —
كيف تستطيع اسلاك الهاتف الرقيقة
أن تحمل كل قوافل الحب ومواكبه وأعياده
الساعية بيني وبينك
مع كل همسة شوق ؟!.
كيف تحتمل اسلاك الهاتف الدقيقة

هذا الزلزال كله ،
وطوفان الفرح ، وارتعاشات اللهفة ،
ومطر الهمس المضيء
المتساقط في هذه الأمسية النادرة ؟!.

●

آه صوتك صوتك !
صوتك القادم من عصور الحب المنقرضة ،
صوتك نسمة النقاء والمحبة
في مدينة الثرثرة وابواق السيارات الضخمة
والنكات الثقيلة كالأسنان الاصطناعية ،
مدينة بطاقات الدعوات إلى الحفلات ،
وورقات النعوة ، وشركات التأمين ،
مدينة المقاهي والتسكع والكلاب المرفهة وزيت الشعر
والتثاؤب والشتائم وحبوب منع الحمل .
والسمك المتعفن على الشاطىء ...
آه صوتك صوتك !
صوتك الليلي الهامس
طوق نجاة
في مستنقع الانهيار .

●

آه صوتك صوتك !
مسكون باللهفة كعناق
يعلقني بين الالتهاب والجنون على اسوار قاعة الليل ...
واعاني سكرات الحياة
وانا افتقدك ،
واعاني سكرات الحياة
وانا أحبك أكثر .

●

آه صوتك صوتك !
ترميه من سماعة الهاتف
على طرف ليلي الشتائي
مثل خيط من اللآليء
يقود إلى غابة ...
وأركض في الغابة،
أعرف انك مختبيء خلف الأشجار
واسمع ضحكتك المتخابثة،
وحين ألمس طرف وجهك
توقظني السماعة القارسة .

●

آه صوتك صوتك !

وأدخل من جديد مدار حبك .
كيف تستطيع همساتك وحدها
ان تزرع تحت جلدي
ما لم تزرعه صرخات الرجال
الراكضين خلفي بمحاريثهم ؟!.

●

آه صوتك صوتك !
وهذا الليل الشتائي
يصير شفافاً ورقيقاً ،
وفي الخارج خلف النافذة
لا بد ان ضباباً مضيئاً
يتصاعد من زوايا العتمة
كما في قلبي .

●

آه صوتك صوتك !
وكل ذلك الثراء والزخم الشاب
تطمرني به ،
وأشتهي ان اقطف لك
كلمات وكلمات من أشجار البلاغة
ولكن ...

كل الكلمات رثة
وحبك جديد جديد ...
الكلمات كأزياء نصف مهترئة
تخرج من صناديق اللغة المليئة بالعتق ،
وحبك نضر وشرس وشمسي
وعبثاً أدخل في عنقه
لجام الألفاظ المحددة !

●

آه صوتك صوتك !
يولد منك الفرح والضوء
والفراشات الملونة والطيور
داخل أمواج المساء الهارب
لقد احكمت على نفسي
إغلاق قوقعتي
فكيف تسلل صوتك الي
ودخل منقارك الذهبي
حتى نخاع عظامي ؟!.

●

آه صوتك صوتك !
واتوق إلى احتضانك .

لكنني مقيدة إلى كرسي الزمان والمكان
بأسلاك هاتف
ومطعونة بسماعته !

●

آه صوتك صوتك !
وانصت إلى قلبي ...
يا للمعجزة : انه يدق !

ليلة ٣ آذار ١٩٧٥

صباح الحب!

« وافرح فاني لا أحب إلا الفرحان »
النفري

وتنمو بيننا يا طفل الرياح
تلك الالفة الجائعة
وذلك الشعور الكثيف الحاد
الذي لا أجد له اسماً
ومن بعض أسمائه الحب

●

منذ عرفتك
عادت السعادة تقطنني
لمجرد اننا نقطن كوكباً واحداً، وتشرق علينا شمس واحدة،
رائع انني عرفتك ،
وأسميتك الفرح ، الفرح
وكل صباح ، انهض من رمادي

واستيقظ على صوتي وأنا اقول لك :
صباح الحب ايها الفرح

●

ولأني أحب
صار كل ما ألمسه بيدي
يستحيل ضوءاً
ولأني أحبك ،
أحب رجال العالم كله ،
وأحب أطفاله وأشجاره وبحاره وكائناته ،
وصياديه وأسماكه ، ومجرميه وجرحاه
وأصابع الأساتذة الملوثة بالطباشير
ونوافذ المستشفيات العارية من الستائر ...
لأني أحبك
عاد الجنون يسكنني ،
والفرح يشتعل
في قارات روحي المنطفئة

●

لأني أحبك
عادت الألوان إلى الدنيا
بعد أن كانت سوداء ورمادية

كالافلام القديمة الصامتة والمهترئة ...
عاد الغناء الى الحناجر والحقول
وعاد قلبي إلى الركض في الغابات
مغنياً ولاهثاً كغزال صغير متمرد ..

●

في شخصيتك ذات الابعاد اللامتناهية
رجل جديد لكل يوم ،
ولي معك في كل يوم حب جديد
وباستمرار
أخونك معك
وأمارس لذة الخيانة بك

●

كل شيء صار اسمك ،
صار صوتك
وحتى حينما أحاول الهرب منك
إلى براري النوم
ويتصادف أن يكون ساعدي
قرب أذني ،
أنصت لتكات ساعتي ،
فهي تردد اسمك

ثانية ، بثانية ..
ولم « أقع » في الحب
لقد مشيت اليه بخطى ثابتة
مفتوحة العينين حتى أقصى مداهما .
اني « واقفة » في الحب ، .
لا « واقعة » في الحب ،
أريدك

●

بكامل وعيي
(أو بما تبقى منه بعد أن عرفتك !)
قررت أن أحبك ،
فعل ارادة ،
لا فعل هزيمة
وها أنا أجتاز نفسك المسيّجة ،
بكل وعيي (أو جنوني) ،
وأعرف سلفاً
في أي كوكب أضرم النار
وأية عاصفة أطلق من صندوق الآثام ...
وأتوق اليك ،
تضيع حدودي في حدودك

ونعوم معاً فوق غيمة شفافة
وأناديك : يا أنا ...

•

وترحل داخل جسدي
كالألعاب النارية ،
وحين تمضي ،
أروح أحصي فوق جسدي
آثار لمساتك ،
وأعدها بفرح ،
كسارق يحصي غنائمه

•

مبارك كل جسد ضممته اليك
مباركة كل امرأة أحببتها قبلي ،
مباركة الشفاه التي قبلتها ،
والبطون التي حضنت أطفالك ،
مبارك كل ما تحلم به ،
وكل ما تنساه

•

لأجلك ،
ينمو العشب في الجبال ،

لأجلك ،
تولد الأمواج ،
ويرتسم البحر على الأفق
لأجلك ،
يضحك الأطفال في كل القرى النائية
لأجلك ،
تتزيّن النساء
لأجلك ،
اخترعت القبلة !...

●

وأنهض من رمادي لأحبك !
كل صباح ،
أنهض من رمادي
لأحبك ، أحبّك ، أحبك ،
وأصرخ في وجه رجال الشرطة
(كل الناس رجال شرطة حين يتعلق الأمر بنا) ،
أصرخ : صباح الحب
صباح الحب أيها الفرح

١ حزيران ١٩٧٤

لقد اخترقتني كصاعقة

لا تصدق حين يقولون لك
انك في عمري
فقاعة صابون عابرة ...
لقد اخترقتني كصاعقة
وشطرتني نصفين
نصف يحبك ،
ونصف يتعذب
لأجل النصف الذي يحبك

●

أقول لك نعم ،
وأقول لك لا ،

أقول لك تعال ،
وأقول لك اذهب
أقول لك أحبك ،
وأقول لك لا ابالي ،
وأقولها كلها مرة واحدة ، في لحظة واحدة ،
وانت وحدك تفهم ذلك كله ،
ولا تجد فيه أي تناقض
وقلبك يتسع للنور والظلمة
ولكل أطياف الضوء والظل ...
لم يبق ثمة ما يقال ،
غير أحبك ! !...

●

أنت ،
تركض كل لحظة فوق جبيني
مثل عقرب صغير أسود
آه ، السعني
اشتهي سمومك كلها ،
انزف ظلماتك داخلي ،
لأضيء ...

●



وحينما يأتيني صوتك
تمتلك جسدي رعدة خفية
كدت أنساها
آه صوتك ، صوتك ، صوتك
الهامس الحار
صوتك الشلال الذي يغسلني
وأنا اقف تحته
عارية من الماضي والمستقبل
وقد شرعت أبوابي
حتى آخرها ...
إدخُلْ !!!

●

كالمخالب ،
تنشب كلماتك في ذاكرتي ...
كالسجناء ،
نلتقي وعيوننا معلقة على الزمن الهارب
ـ العائم مثل طائرة ورقية
يلهو بها طفل لامبال ـ
كشجرة لبلاب جهنمية ،
تنمو أيامنا حول أعصابي ...
وتأتيني يا حبيبي ، تطالعني

مهيباً لا يقاوم كسمكة القرش ،
وأبحث بنفسي عن أسنانك
كي أوسدها قلبي
وأنام بطمأنينة الأطفال ... والمحتضرين ..

●

أمتلك
ذكرى لمساتنا المسروقة ،
كأني ورثت مجرة ...
اتأمل كواكبها
وانصب خيمة الشوق
بين مداراتها .. وانتظرك .

لا تقل لي بعد اليوم ،
انني اعبث بك
كما القطة تعبث بفأر حميم
تشتهي تعذيبه
اكثر مما يمتعها قتاله ...
ألا ترى معي
ان كلينا فريسة

والحياة هي القط الأسود الكبير
الذي قرر أن يلهو بنا
والقدر هو الشرك
الذي يتهددنا
وما دام لا محالة ،
فلنستمتع بسقوطنا !.

●

أيقظت حواسي النائمة
وأنعشت حماسي الممطر ضجراً
وأعدت إليّ الضحك
الذي عدوت خلفه طويلاً في دروب العالم ،
ومنذ عرفتك ،
لم تمرّ لحظة لم أهتف بها باسمك ،
كما اتنفس ،
ولم تمر دقيقة لم أكن فيها ملتهبة حماساً وعملاً ،
حتى كدت لا أجد وقتاً لك ،
انت يا نهر الفرح ،
جرفتني ،
خذني إلى قاعك ،

دعني أغرق اليك !...

●

يقول غراهام غرين :
ان الفشل شكل من أشكال الموت
أقول له :
ولكن الفراق هو الموت !

●

هاجسي ،
صرت هاجسي ،
اكتب عنك ولك ،
كي استحضرك
كساحرة محنيّة على قدْرها .
تُخرج منه رأس حبيبها المقطوع .
بلك ،
اغادر تلك البئر السحيقة المعتمة
التي اقطنها
كن جناحي ،
لاطير من جديد ،
إلى الشمس والفرح ... وصدرك

●

انها لنعمة انني أحيا
فقط لأكون قادرة على ان احبك
ومن المؤسف ان اموت
وأنا قادرة على هذا الحب كله .

●

اتذكر أيامي معك
كمن يرى الأشياء عبر نافذة قطار مسرع :
نائية ، وجميلة
والقبض عليها مستحيل .

من وقت إلى آخر
فلنعد أطفالاً
ولنحزن بلا كبرياء زائفة .

يوم احتضر
سافكر بتلك اللحظة المضيئة
حين وقفنا في الظلمة
على شرفة القارات
وقلت لي بحقد : أحبك .

سأتذكر صوتك ،
وسيجيء الموت عذباً
ويضمني كرحم الفرح المنسي .
وساهمس بحقد مشابه :
آه كم احببتك !

تموز ١٩٧٤

واعطنا حبنا كفاف يومنا

حين أفكر بفراقنا المحتوم ،
«يبكي البكاء طويلا
ويشهق بالحسرة »
بالحسرة بالحسرة بالحسرة ...

●

أية قوة جهنمية تشدّني اليك
وأرفض التصديق انها تنبع من خارجي
وأرفض أن يقال
انه القدر يرميني اليك ...
أنا أنقذف نحوك ،
كوكبي يرتطم بكوكبك
أنا اخترتك

أنـــا ؟
أم انني لست حرة حتماً
وخيوط لامرئية تعبث بقدري وقدرك
وبعد أن كان قطار حياة كلّ منا
يمضي بهدوء على سكته
تتقاطع السكاك فجأة
ونرى بوضوح
انه لا مفر من لحظة الاصطدام
والانفجار والاحتراق والدمار
وربما دمار من حولنا
ولكن
أحبك !!

لا تحدثني عن البارحة ،
ولا تسلني عن الغد ،
وربنا أعطنا حبنا كفاف يومنا
وقل لريح الفرح ان تعصف بنا
ولصواعقه أن تضربنا
دون أن تقتلنا ..
واعطنا حبنا كفاف يومنا

وكل صباح هو يوم جديد
وليس في حبنا مسلمات ولا تقاليد
وكل يوم تختارني وحدي من بين نساء العالم
وآخذك من بين رجاله
وكل يوم تاريخ مستقل بذاته
وكل ما تملكه مني ومن نفسك
هو « اللحظة »
فلنغزها بكل حواسنا
لأن الفراق واقف خلف الباب
ويد الحزن ستقرعه ذات ليلة
سنسمعه حزيناً ومهيمناً كجرس كنيسة
وستدوي أصداؤه في أرجاء روحنا المكسرة ..
ما دام الفراق
ضيفنا الثقيل الذي لا مفر من حلوله .
تعـال ،
ولننس كل شيء عن كل شيء ،
إلا « اللحظة » ... وأنا ، وأنت

أيها الشفاف النابض
كلهبة شمعة ...

إرم من يدك قبضة خنجرك ،
وخذ بيدي ..
ومدّ جسورك إلى لحظتي
وقل لأحلام الحب الأزلي
لا نريد غداً ولا رشاوي مستقبلية ..
نحن سكان مدن الريح والموج
كل منا جسده مدينته ...
وليحتلني جرحك
ولتنحدر دموعك من عيوني ...

●

الى داخل شرايينك هاجرت
واستوطنت تحت جلدك
وصار نبضك ضربات قلبي
ولم أعد أميز بين الخيط الأبيض والأسود !

●

وكان جسدك بحراً
وكنت سمكة ضالة ...

●

ولم أكن لأعبث بك
فأنا أعرف أن من يلعب بالحب

هو كمن يلعب التنس بقنبلة يدوية !..

●

ثمينة هي لحظاتنا
كل لحظة تمضي هي شيء فريد
لن يتكرر أبداً أبداً
فأنت لن تكون قط
كما كنت في أية لحظة سابقة
ولا أنا ..
كل لحظة هي بصمة أصبع ،
لا تتكرر ...
كل لحظة هي كائن نادر ، وكالحياة
يستحيل استحضاره مرتين ...

●

لا أحد مثلي يستمتع بالحب
لأنه لا أحد مثلي يعرف معنى العذاب
لقد مررت بمدينة الجنون
وأقمت بمدينة الغربة
وامتلكتني مدينة الرعب زمناً ،
واستطعت أن اغادرها كلها من جديد
الى مدينة الحياة اليومية المعافاة ..

ولكنني خلفت جزءاً مني
في كل مدينة مررت بها
وحملت جزءاً منها في ذاتي .
وأنت كلما احتضنتني ،
احتضنت الجنون والغربة والرعب ،
ويدهشك ان ترتعد حين تكون معي ؟..

●

تعال يا من اجتاحني كالانتحار
وهيمن على حواسي كساحر ..
واعطنا حبنا كفاف يومنا ...

ايلول ١٩٧٤

وأحبك أكثر من ... ذنوبي

وتقول شفتاك للفرح : كن
فيكون !...
ويغرد قلبي
يحلق بين اسلاك الشمس
طائراً من نار
لا يخشى الاحتراق بأتون الغبطة .

*

حين مستني يدك
كيد نبيّ
تحولت اعماقي من سراديب ،
ودهاليز سريّة الاوجاع
— مسكونة بأشباح تشحذ أسنانها وأظافرها على جدران الماضي البشع —
الى نافذة ستائرها قوس — قزح

مفتوحة للأفق والريح والمطر والمفاجأة
وأغاني جنيات الليل العاشقات

●

حين يأتيني وجهك
أصير مرهفة
كرمال شاطىء تنبض ذراته
تحت جسد ليلة صيف باهية ..
وقرعات طبول الموج
وموسيقى النجوم الخافتة ...
وأخفق لكل ما هو طيّب ونبيل
في كونك المسحور

●

وتندف فوق أيامي
تندف مطراً مضيئاً
يغسلني بالغبطة...
لم أكن أدري ان الزمن
يختزن لي هذه السعادة كلها
ولا أريد ان اصدق
ان سعادتي معك الآن
هي طعمٌ في صنارة الشقاء الآتي ...

●

كل هذا الحب الذي تغمرني به
أمتصه بشراهة التراب الجاف
دونما عقوقه ...

●

واحبك كثيراً
أكثر حرارة من البراكين الحية
أكثر عمقاً من دروب الشهب
اكثر اتساعاً من خيالات سجين
أحبك كثيراً ...
أحبك حتى أكثر من عدد ذنوبي !...

●

وكلما ابتسمت يا غريب
أمتلىء غبطة
لأنني أعرف انك حين تبتسم ،
تنبت الأزهار
في قلب الصخور بالجبال
حين تبتسم
تتناسل أسماك الشوق الملونة
وتسبح داخل شراييني ...
حين تبتسم

تنمو حقول الياسمين الدمشقي
فوق أيامي المعدنية الصدئة ...

●

وأتكىء على الفجر
الذي ولا بد أن يطلع
وانتظرك
وحين تمخرني
ترحل بحاري مع مركبك دونما ندم
دونما ندم

●

قدري ؟
أبسط لك كفي
لا لتقرأ
بل لتكتب في راحتها
ما شئت من النبوءات والكلمات
وترسم فيها
ما يحلو لك من الخطوط والدروب والرموز ،
بوردتك
أو بسكينك !...

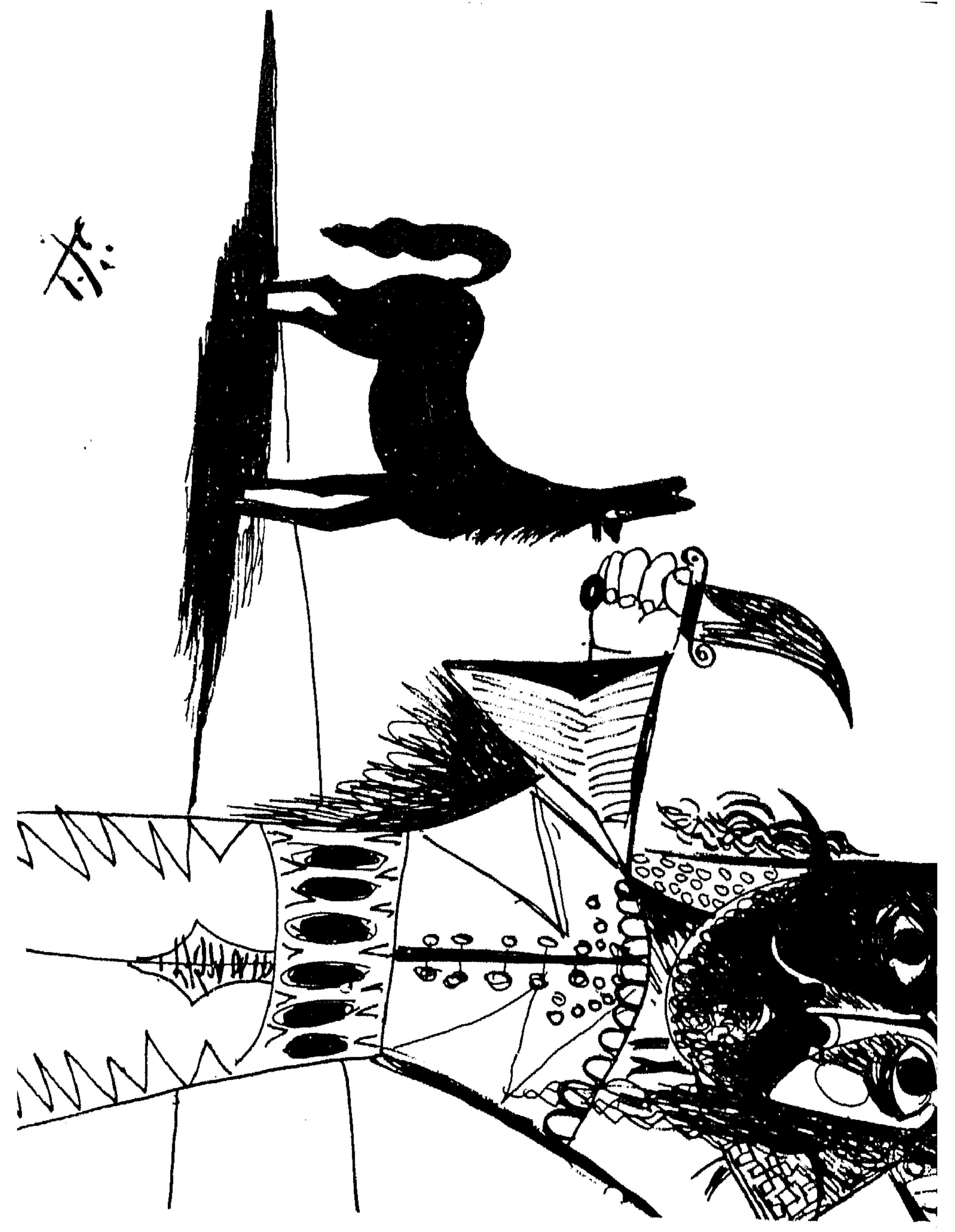
ليلة ٢٢ نيسان ١٩٧٥

أزهار الجنون الليلية

في المساء
يتفتح شوقي اليك
حقلاً من أزهار الجنون الليلية ...
آه ، كل تلك الأسوار بيننا ..
آه بيني وبين وجهك ،
ليل طويل من الفراق ..
وريثما يطلع الصباح ،
ستلفني الكوابيس كالكفن ..
وسأستيقظ كالعادة على صوتي ..
وانا أنادي اسمك ..
وتحلم بك احلامي !.

ايها البعيد كمنارة
ايها القريب كوشم في صدري

ايها البعيد كذكرى الطفولة
ايها القريب كأنفاسي وأفكاري
أحبك ، أ ح ب ك
وأصرخ بملء صمتي : أحبك
وانت وحدك ستسمعني
من خلف كل تلك الأسوار
أصرخ ، واناديك بملء صمتي ...
فالمساء ، حين لا اسمع صوتك :
مجزرة .
الليل ، حين لا تعلق في شبكة أحلامي :
شهقة احتضار واحدة ...
المساء ،
وانت بعيد هكذا
وانا اقف على عتبة القلق
والمسافة بيني وبين لقائك
جسر من الليل
لم يعد بوسعي
أن أطوي الليالي بدونك
لم يعد بوسعي
ان اتابع تحريض الزمن البارد
لم يبق أمامي إلا الزلزال



وحده الزلزال
قد يمزج بقايانا ورمادنا
بعد ان حرمتنا الحياة
فرحة لقاء لامتناه

•

في المساء ،
يقرع شوقي اليك طبوله
داخل رأسي دونما توقف
يهب صوتك في حقولي
كالموسيقى النائية القادمة مع الريح
نسمعها ولا نسمعها .
يهب صوتك في حقولي
واتمسك بكلماتك ووعودك
مثل طفل
يتمسك بطائرته الورقية المحلقة
إلى أين ستقذفني رياحك ؟
إلى أي شاطىء مجهول ؟
لكنني كالطفل
لن أفلت الخيط
وسأظل أركض بطائرة الحلم الورقية
وسأظل ألاحق ظلال كلماتك ! ..

ليلة ٨ / ٦ / ٧٥

صرخة

أيها الغريب
حين أفكر بكل ما كان بيننا
أحار ،
هل علي ان اشكرك ؟
أم ان اغفر لك ؟...

آيلول ١٩٧٥

حينما يكون قلبك فراشة ...

هبطت الطائرة في مطار لندن ،
وطار قلبي ليعود فوراً اليك ...
هدأت محركاتها ،
وانفجرت في داخلي محركات الشوق تهدر ...
ولحظة وعيت كم انا بعيدة ،
أدركت ، ربما للمرة الأولى
إلى أي مدى أحبك ..
وتدحرج رأسي في ممرات المطار
— مثل كرة هوجاء —
يصطدم بكل الجدران ..

●

قبل أن أرحل قلت لنفسي :
لطيف وعذب أن اتذكرك وان أشتاقك !
قبل أن أرحل قلت لي :
يكفينا اننا نقطن كوكباً واحداً

ويشرق علينا قمر واحد ..
أيها الشقي ،
أي جنون كان ان ارحل ،
فأنت لم تعد شوقاً عذباً
لقد نبتت لذكراك في نفسي
أنياب ومخالب جارحة ...

●

طويلة ليالي الفراق
ممدودة على طول قارتين ...
والتنهدات تعوم في الظلمة الشبحية
مثل غريق شهقاته احتضار ...

●

ها أنا اتسلق شجرة الذكرى ..
واقتحم مدينة الحلم ..
وأضرم الحرائق في روتين الشرعية ،
لتحتلني رياحك ...
وأنطلح صخرة الوضوح والمنطق ،
بخصب الشوق ...
في اصبعي ما يزال أثر حرق لفافتك
ها هو دليل محسوس على اننا كنا معاً « حقاً » ،

اعلق مشنقة كلمة « حقا »
جبنا فوق الأدلة المادية
وسابق لها ، كالايمان !..

●

الجمعة الحزينة
وأنا العاشقة الحزينة
وأنت مصلوب داخل جسدي ،
وأمامي في المقهى (عاشقان) انكليزيان جداً ،
وأمامهما صفحة الكلمات المتقاطعة !.
وكلاهما انتهيا من حل كلمة ،
يقبلها ببرود كما ينظف أسنانه ،
وبعينين مفتوحتين حتى آخرهما
تتأملان التلفزيون خلفها !...
يقبلها بلا نبض ،
ثم يعودان إلى حل أحاجي الكلمات المتقاطعة بحماس
لو مسّت شفتاك عنقي هكذا ،
لانصهرت ،
لخرج الضوء من اصابعي ،
ولفاحت من جسدي

رائحة البخور ..
لو ...

●

جلستي هزلية ،
في القطار إلى اسكوتلندا ...
وجهي عكس اتجاه السير
وعيناي مثبتتان على الجنوب ،
على الجبال التي نخلفها وراءنا
بينما انا امعن ابتعاداً عنك ..
راحلة إلى الغد
ووجهي إلى الماضي ،
عيناي على أيامنا الهاربة
وظهري للمستقبل
وقد استحلت صنماً من الملح !
الكاهن الذي تصادف وجوده الى جانبي
حذّرني : ستصابين بدوار .
بدّلي مقعدك .
أيها الكاهن : فات الأوان . فات الأوان .

●

التقينا بعد الأوان
وافترقنا قبل الأوان

حتى موسم الهرب فات أوانه
نحن موسم الحب المجنون
المرفوض من مواسم الشرائع ...

●

أتذكرك في « نيو كاسل »
وأضواء المدينة الصناعية الصفر
الحزينة في ليل بلا قلب
تخثرني جلطة
في عروق الليل ...
لو ينفجر هذا الليل المحتقن ،
لو تخرج ماكينات المدينة المرعبة ،
عن قوانين الفيزياء ،
فتبكي معي ، وتصنع حرير القز المبلل بالدموع
شفافاً كأغلال الشهوة ...
موجع أن تنام في مدينة صناعية
حين لا يكون قلبك مضخة
حين يكون قلبك فراشة
مغروزة بدبوس إلى جدار الفراق
وعبثاً تخفق أجنحتها ...

●

وأرحل . ومن أقصى الشمال أناديك
والريح تسخر بـي على شواطىء الاطلسي
وانا أعاني مخاض حبك
والفجر كسر قارورته
وظل الاطلسي مظلماً وعدوانياً
يتهدد بتدمير كل قوارب نجاة العشاق ..
وكل محاولات القلب للعبور ...
ذلك العربـي الذي أسمى الاطلسي
« بحر الظلمات »
تراه كان عاشقاً مثلي ؟...

●

آه لو تنكسر مرآة الشوق
وتتفتت صورتك فيها ...
ليستريح قلبي — الصخرة
من كلابات الذكرى
التي تتسلقه في عتمة الليل ،
برشاقة السجناء الهاربين ...
آه لو يغمى على الذاكرة ..
على شواطىء « بحر الظلمات » ...

آب ١٩٧٤

عصفور علي الشجرة
خير من عشرة في اليد !

منذ طفولتي و « هم » عبثاً يحاولون اقناعي
بأن عصفوراً في اليد
خير من عشرة على الشجرة !..
ولم أصدق تلك الاكذوبة أبداً !..
جلدوني بسياط الغضب الاجتماعي ،
وعلقوني على شجرة التشهير ،
وقالوا انني ساحرة من رعايا الشيطان
وانني مسكونة بالشر الغامض كعرافات دلفي ،
وانني لست طيبة كبقية الصغار
الذين صدقوا ان عصفوراً في اليد

خير من عشرة على الشجرة !..
وأراحوا واستراحوا ...

●

وكيف أصدق ، أيها الغريب ،
أن عصفوراً في اليد
خير من عشرة على الشجرة ،
وأنا أعرف أن العصفور في اليد
هو امتلاك لحفنة رماد
والعصفور على الشجرة
نجمة ، فراشة ، حلم بلا نهاية ...

●

العصفور على الشجرة
هو دعوة الى مدن الدهشة والمفاجأة
ونداء للسباحة تحت شلال الجنون المضيء ...
والعصفور في اليد
قيلولة في مستنقع الرتابة
واقامة في مدينة المقبرة
وحوار رتيب كالشخير !..

●

لا تصدقوا ، أيها العشاق الصغار

الذين لم تتشوهوا بعد ،
لا تصدقوا ان عصفوراً في اليد
خير من عشرة على الشجرة !
بملء حنجرة أعماقي اقول لكم :
عصفور على الشجرة
خير من عشرة في اليد .
فالعصفور على الشجرة هو البداية ،
هو دعوة للركض على قوس قزح ،
وانطلاقة فوق فرس بري
الى عوالم حقيقة الذات .
والعصفور في اليد هو كلمة « الخاتمة » ،
هو قفل في باب الخيال والهواجس ،
وتعايش مع قبيلة السلحفاة والنملة ،
وقالب معد سلفاً لسجن كل ما هو نبيل وفريد فينا !..

●

من قال ان ريشة في مهب الرياح
ليست خيراً من حصاة مستقرة في قاع نهر راكد ؟!

●

احبك ايها الغريب
أيها المشرد بين القارات

كسنونو اطلق الرصاص على الربيع ،
ورفض كل يد تحتويه ،
ورفض حتى غصنه
وسكن في الريح ،
وانطلق في الكون
مثل كوكب يرفض حتى مداره ...

•

أحبك أيها الغريب ،
وحتى حين تأتي الي
برقتك الشرسة العذبة ،
وتستقر داخل كفي
بوداعة طفل ،
فإني لا أطبق يدي عليك
وانما اعاود اطلاقك للريح ،
واعاود رحـــلة عشقي لجناحيك ـــ وجناحاك المجهول
والغرابة ...

•

احبك
وأطفح بالامتنان لك .
فقد حولتني



من مسمار في تابوت الرتابة
الى فراشة شفافة مسكونة بالتوقد .
قبلك كنت أنام جيداً ،
معك صرت أحلم جيداً .
قبلك كنت اشرب ولا اثمل ،
معك صرت اثمل ولا اشرب .

●

معك نبتت اجنحتي ،
وتطرزت أيامي بخيوط الشهوة الخضراء ،
وغسلتني امطار العنف والحنان المضيئة ،
وأبحرت في مدارات اللاشرعية
الى كوكب التفاح الجهنمي
والثلج الملتهب الملون
كحريق في غابة !..

●

احبك ايها الغريب ،
بضراوة السعادة
وبرقة الحزن ...
فأنا اعرف جيداً
ان من يحب عصفوراً على الشجرة

يكتشف مدى قدرته على العطاء والتوهج ...
لكنه أيضاً
يكتشف مدى قدرته على الحزن
حين ترحل الشجرة بطائرها !
وأعرف ان رحيلك محتوم
كما حبك محتوم !
وأعرف انني ذات ليلة سأبكي طويلاً
بقدر ما أضحك الآن ،
وان سعادتي اليوم هي حزني الآتي ،
ولكنني أفضل الرقص على حدّ شفرتك
على النوم الرتيب كمومياء
ترقد في صندوقها عصوراً بلا حركة !

●

خذني اليك أيها الغريب
يا من صدره نقاء صحراء شاسعة ...
وعباءته الليل ...
وصوته حكايا الأساطير .
ضمّني اليك ،
أنا كاهنة المغامرة
وسيدة الفرح — الحزن التوأم ،

ولنطر بعيداً عن مدينتهم
وشوارعهم وكرنفالاتهم
وغابة المهرجين والحمقى والطيور المحنطة ،
ولننطلق معاً
مثل سهم ناري لا ينطفىء .
ها هو ذئب الفراق
قابع في انتظار سقوطنا بين أنيابه ،
إذا سقطت
لن أشكو
أو أتلو فعل الندامة ...
المهم انني عرفت نشوة ان اطير ،
اغامر ... واطير ،
وبك رفضت قدر ديدان الأرض !..

●

التقينا لنفترق ؟
فليكن !
خذني اليك الآن
وليرحل عنا الرحيل !
ضمني الى جحيمك الرائع
وليرحل عنا الرحيل !

ومهما هددني الغد بالفراق ،
ووقف لي المستقبل بالمرصاد
متوعداً بشتاء أحزان طويل ،
سأظل أحبك ،
وبلحظتنا الكثيفة كالمعجزة
أتحدى الماضي والمستقبل ،
وكل صباح أقول لك :
أنا لك ...
لأنني اؤمن بأن عصفوراً على الشجرة
خير من عشرة في اليد !

فراقك مسمار في القلب

عذاب أن أحيا من دونك
وسيكون عذاباً أن أحيا معك ..
يبقى أملي الوحيد
معلقاً بتلك الممحاة السحرية
التي اسمها الزمن
والتي تمحو عن القلب
كل البصمات والطعنات .
كلها ؟

●

اذكر بحزن عميق
أول مرة ضممتني اليك
وكنت ارتجف كلص جائع
وكنا راكعين على الأرض حين تعانقنا
كما لو كنا نصلي

اجل ! كنا نصلي ...

●

أذكر بحزن عميق
يوم صرخت في وجهي :
كيف دخلت حياتي ؟
آه أيها الغريب !
كنت أعرف منذ اللحظات الاولى
انني عابرة سبيل في عمرك
وانني لن املك
إلا الخروج من جناتك
حاملة في فمي إلى الأبد
طعم تفاحك وذكراه ...

●

أذكر بحزن عميق
انني أحببتك فوق طاقتك على التصديق
وحين تركتك
(آه كيف استطعت أن اتركك !)
فرحت لانك لم تدر قط
مدى حبي
ولأنك بالتالي لن تتألم

ولن تعرف أبداً أي كوكب
نابض بالحب فارقت !..

●

فراقك مسمار في القلب
واسمك نبض شراييني
وذكراك نزفي الداخلي السرّي
وها أنا أفتقدك
وأذوق طعم دمعي المختلس
في الليل المالح الطويل .

●

لم يعد الفراق مخيفاً
يوم صار اللقاء موجعاً هكذا ...

●

وأيضاً أتعذب
لما فعلته بك
بعد أن دفعتني إلى أن أفعله بك .

●

لقد مات الأمل
ولذا تساوت الأشياء ...
واللقاء والفراق

كلاهما عذاب
و « أمران احلاهما مر » ...

●

يقولون : في الليل المنخور بالوجع
تنمو بذرة النسيان
وتصير غابة تحجب وجهك عن ذاكرتي ...
لكن وجهك
يسكن داخل جفوني
وحين أغمض عيني : اراك !..

●

عشنا أياماً مسحورة
كمن يسبح في بحيرة من زئبق وعطور
ويركب قارباً
في انهار الألوان لقوس قزح
مبحر من الافق إلى نجمة الرعشة ...
كان ياما كان !..

●

كان ياما كان !..
وكانت السعادة تصيبني بالارتباك ..
وحدها تخيفني

لأنني لم اعتدها ..
فأنا امرأة ألفت الغربة
وحفظت أرصفة الوحشة والصقيع
وأتقنت الجدية العزلة والنسيان ...
وأعرف ألف وسيلة ووسيلة
لأحتمل هجرك
أو كل الألم الممكن أن تسببه لي ...
ما لا أعرف كيف أواجهه
هو سعادتي معك ...
وحينما أصير مثل آنية كريستال شفافة
ممتلئة برحيق الغبطة
وبكل الفرح الممكن ،
أرتجف خوفاً امام السعادة ...
مثل طفل منحوه أرنباً أبيض
ليقبض عليه للمرة الاولى في حياته !..

●

وكنت دوماً اصلي :
رب احمني من سعادتي
اما تعاستي فأنا كفيلة بها . .
آه !..

كان ياما كان حب ...

●

وكنت بعد ان افارقك مباشرة ،
يخترقني مقص الشوق اليك ...
وتزدحم في قلبي
كل سحب المخاوف والأحزان ..
وأشعر بأن البكاء لا يملك لي شيئاً ، فأضحك !!
وتركض الي حروفي ، فأكتبها
وأستريح قليلاً بعد أن أكتب ..
وأفكر بحنان
بملايين العشاق مثلي
الذين يتعذبون في هذه اللحظة بالذات
دون ان يملكوا لعذابهم شيئاً
وأصلي لأجلي ولأجلهم
وأكتب لأجلي ولأجلهم ...
وأترك دموعهم تنهمر من عينيّ
وصرختهم تشرق من حنجرتي ...
وحكاياتهم تنبت على حد قلمي .. مع حكايتي ..
وأقول عني وعنهم :
كان ياما كان حب ...

شتاء ١٩٧٥

كلمة منسية ... لعينيك

الليلة ،

بحثت عن كلمة صغيرة .

كلمة عذبة أخلفها على صدرك

بعد أن أرحل عنه

كلمة بلا شوك

وبلا حراشف

وبلا هياكل عظمية ..

الليلة ،

بحثت عن كلمة منسية في مجزرة اللغة

فيها طمأنينة همسات طفلة نائمة

وصفاء لهبة القنديل الزيتي الخافت قرب وجهها

وبراءة حرارة أنفاسها الخافتة المتلاحقة .

الليلة ،
بحثت عن كلمة صغيرة .
وخيل إلي أنني أرى ظل حروفها
فوق شفتيك
وخشيت ان اقرأها بصوت عال
فتروح في محرقة الكلمات .

رافعة علم نزواتي بلا حدود

تحت الثلج الأسود
لهذا النهار المسعور ..
أعاهد الشيطان
بأن لا أحب بصدق أبداً ...

●

تحت المطر المسموم
لهذا النهار المسعور
أقف حاملة خطيئة الصدق ،
كقتيل يحمل جثة قاتلة ..
واصرخ تحت مسامير الرعد
التي تصلبني :
غفرانك ايها الشيطان !
أعدني إلى حظيرتك
إلى النسيان والخدر واللامبالاة

والضحك والفرح الأرعن ...
واغفر لي ان عصيتك
وأحببت بصدق
وخرجت عن سراطك غير المستقيم
وضعت في متاهة الحب الحقيقي !..

●

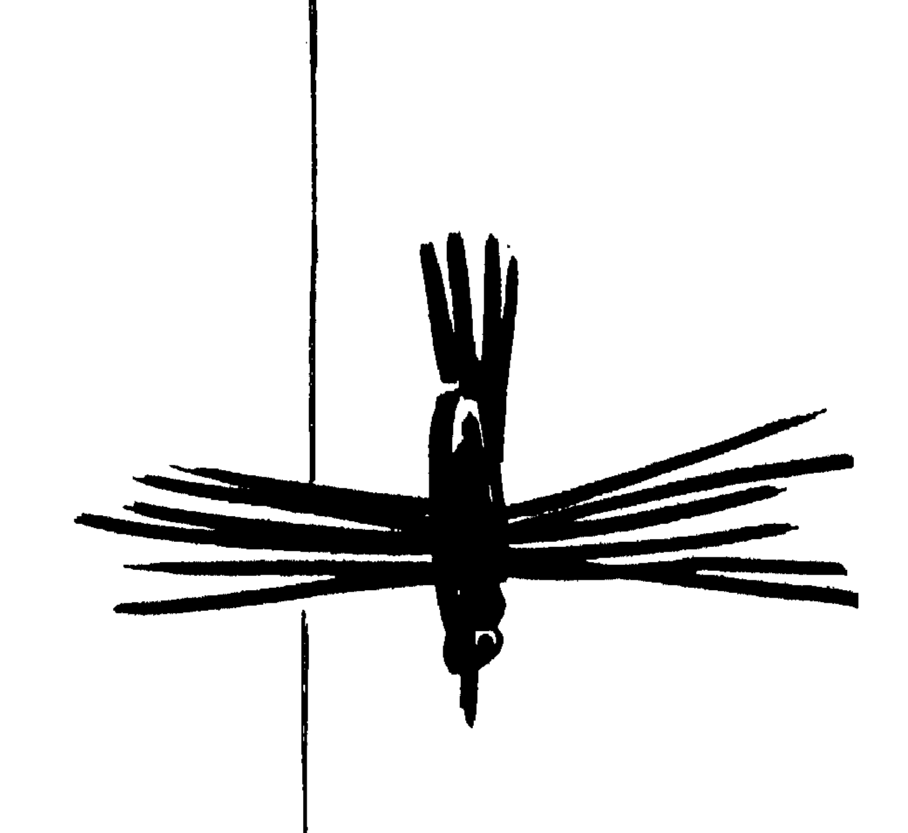
في الشوارع النازفة مطراً
لهذا النهار المسعور ، أدور
وأندف وأتساقط وأنتحب
ندماً على خطيئتي الكبرى
خطيئة الحب الصادق ...

●

فلتجرف المياه الموحلة ،
الراكضة إلى المجارير
ذاكرتي معها !...

●

ليغفر لي سيدي الشيطان
الذي أطعته دائماً
ومنحني سنوات من الجنون والشبق والفوضى ...
وها أنا لأول مرة





أخرج عن طاعته ،
وأمنح بصدق واخلاص كجدول ...
وها هي عجلات القسوة تدوسني
أنا التي جئت حقل الحب
عارية من أسلحتي
ومن أظافري ومخالبي واسناني المدببة
وفي فمي صلاة ولمسة حنان ..
عمدوني بماء النار
وركضوا خلفي بالحصى
كركض الأطفال خلف مجانين القرى ..

●

من تحت خرائب الفرح
لهذا النهار المسعور
يطلع جسدي من جديد ، ويتكون ..
ومن رماد الخيبة ،
أتشكل ثانية وأنمو ...
كل الذين ظنوا أنهم دفنوني واستراحوا
يجهلون أنني أنهض دوماً من رمادي
وأركض كاهنة للشر الملون
مضمخة بعطر دمي وجرحي

شاهرة أظافري السود وجمر عيوني
في وجه الليل والغربة والوحشة
راجعة إلى حظيرة الشيطان الرحيم
مؤدية لطاعته
رقصة الشهوة المسعورة
رافعة علم نزواتي بلا حدود
مغتصبة أجمل الملاحين إلى جزري
حيث مغاور اللوتس الأسود
واللاعودة !...

●

أرمي برأسي على فخذ الشيطان
وأصرخ : خذني
وامسح جرحي النازف بلسانك الثعباني
وعمده باللعنة سبع مرات
واغمد اصابعك السكاكين في صدري
واستخرج قلبي المجرم بالحب الصادق
واغمسه في مستنقعات اللامسؤولية
سبع ليال
وجففه تحت النجوم السود
ولتمر به الساحرات

منشدات حوله صرخات الشؤم
ولتخرج الضفادع والحراذين
والأفاعي والسحالي من أوكارها
لتعمده بالسم والنقيق
ليصير قلباً صالحاً
للعيش في هذا العالم غير الصالح !

●

وبعدها سأخرج من هيكلك
حاملة على جسدي بكل فخر
لعنات الرجال الذين خنتهم
والذين سأخونهم !...
والذين غدرت بهم
والذين سأغدر بهم
دونما ندم
دونما ندم

●

ودون أي حس بالاثم
ساتابع رقصة الحياة الغجرية
انا الطاعنة المطعونة
المشرعة عمرها لما يأتي

رافعة علم نزواتي بلا حدود
وبلا ندم
بلا ندم

●

في أيام مقبلة لا ريب
بينما احيل قلوب الرجال
حقولاً للانتظار والنزوات المجنونة ..
والدمع الأسود
يتفجر من موقع خطاي
كينابيع اللعنة
واللذة الحادة كطعنات سكاكين
تفرقع كالسياط على جدران معبدي
أنا كاهنة الشر الملون ،
في أيام كهذه ، مقبلة بلا ريب
حين يمر اسمك في خاطري
لن تدمع عيني ولا قلبي
ولكنني سأشهق كسمكة أخرجوها من الماء
وكوردة برية زرعوها فوق اسفلت شارع مزدحم !..

آذار ١٩٧٥

وها أنا أنساك ..

ها أنا أنساك ...
أدمر هيكل الذكرى علي وعليك ..
وأترك جثة الذاكرة مشلوحة
لصقور الزمن تنهشها وتأتي عليها ..
وأصنع من سواد عينيك
حبراً لسطوري المتوحشه .

●

مرة ،
كان حبك ،
وكان حبك شراع مركب الفرح العتيق
ورحيلاً من نهر الظلمات والدم
الى جزر الدهشة وصحو مطر النجوم .

مرة ،
حبك كان عبارة «ممنوع المرور» في وجه ناطورة الحزن ،
حبك
رغيفي في قحط التكرار والسأم ...

●

كان حبنا وعلاً جميلاً ، كالحرية ،
راكضاً كسهم افريقي ملون ،
لكنه حين دخل غابة الشكوك والنزق
علق قرناه في أغصان الحزن الكثيفة .
ورغم كل المرارة التي ما يزال طعمها في فمي
كالدم إثر لكمة متفجرة ،
كانت هنالك لحظات في حبنا ،
لحظات مضيئة عانقنا فيها الطفولة ،
والفرح . الفرح . الفرح .

●

ومرت أيام ...
صار بيتنا الزلزال ،
واستحال حبنا الى «هاراكيري» يومية ، ورسائلنا الى مجزرة ،
وصار حوارنا جَلْداً متبادلاً بصواعق اللؤم ،

وصار صوتك يخرج إليّ من الهاتف
مثل لسان أفعى تسكن سماعته !..
يلدغني ،
واغفر ... على أمل ان تشاركني ثقل الليل على صدري...
وثقل الكرة الأرضية فوق رأسي ...

●

واذكر أيامنا :
مقهى وديعاً أكل البحر أطراف أعمدته ...
يهزّه صفير قطارات الوداع المتلاحقة ، حين جاء صفير قطارنا
كان لا مفر ،
ودعنا المقهى بصمت ، ودعنا الدرج العتيق بصمت ،
ورحلنا عن ذلك الربيع البحري .
وفرغت الصدفة من لؤلؤتها وشرارتها
وملأها الرمل والضجر والثرثرة الدامعة .

●

أتمدد على سريري ،
وأتوهم أنني نمت .
وحين يغرق في النوم قناعي
يستيقظ قلبي العاري ،

يهرب مني راكضاً في الشوارع
كزعيق سيارة الاسعاف
يركض قلبي العاري معولاً ،
مطلقاً ساقي البكاء للريح
ويغلق سكان الحي نوافذهم
ويشتمون صوت العاصفة ...
إنهم لا يعرفون ان العاصفة هي غبار القلوب
المنطفئة ...
إن العاصفة هي صوت قلب لم يثأر له !..
إن العاصفة هي صوت بكاء قلب ،
بدأ ينسى ، ينسى ، ينسى ،
وهو لا يريد أن ينسى .

●

لا تقل لي « ماضينا » معاً ، و « مستقبلنا » ...
ها أنا أنساك ...
وحبيبي اسمه « الآن » .
« البارحة » و « الغد » كلمتان
أُطلقت عليهما الرصاص ،
ولن أهاجر الى الماضي لأعيش بك ،
فالهجرة الى الماضي كمحاولة الاقامة في قارة الاتلنطيد

التي ابتلعها البحر منذ دهور ...
والهجرة الى المستقبل موعد غرامي فوق سهول
القمر في « بحر الهدوء » عام ٢٠٢٠ !
الآن ،
او ابدأ ...
وها أنا أنساك ...

شتاء ١٩٧٥

وأنا شريدة في وهج الربيع

نيسان يطلق في الجو صرخته :
ها هو ربيع جديد يأتي
نيسان يستعيد مملكته ،
صدر الأرض يخفق ، يتفتح ،
يزدهر، يتنهد التّراب رائحة زهر الليمون ، حارّة كثيفة
موحية ، كالذكرى ...
فأتنهدك ، أتنهدك أيها الغريب ...

●

نيسان يبسط عباءته الملونة ،
يكسر قارورة الوجود العطرية على شواطىء لبنان ،
وأنا شريدة في وهج الربيع ،
شريدة في الليل العتيق ، المذهل ،

ليل نيسان الذي يفتح المسامات النفسية
للحب والحياة ، لازدهار الجسد
(ليل الطفلة محروقة الخدين ،
لا ، ليل المقاهي والأقنعة والكرنفالات الاجتماعية) ،
فأتنهدك ، وأذكرك .

●

دوماً تأتي إلي عبر إيقاع الأرض ، ومع غليان التراب بالعطاء ... مع رائحة زهر الليمون ، رائحة الاحتضان .
دوماً تأتي إلي من نزيف ذاكرتي ...
وعبثاً نفتح في جدار الفراق كوة ...
وعبثاً ننسى أننا صنعنا الربيع ذات مرة !

●

أصرخ : من له قلب فليتبعني ...
ولكن ، حين أعانق سواك أيها الشقي
أكتشف اني اعانق أجساد رجال مقطوعي الرؤوس،
وحتى رأسي ،
أحسه ينفصل عني ،
ليعوم مقطوعاً فوق بحر الليل والحزن ...

●

نيسان يطلق في الجو صرخته ،

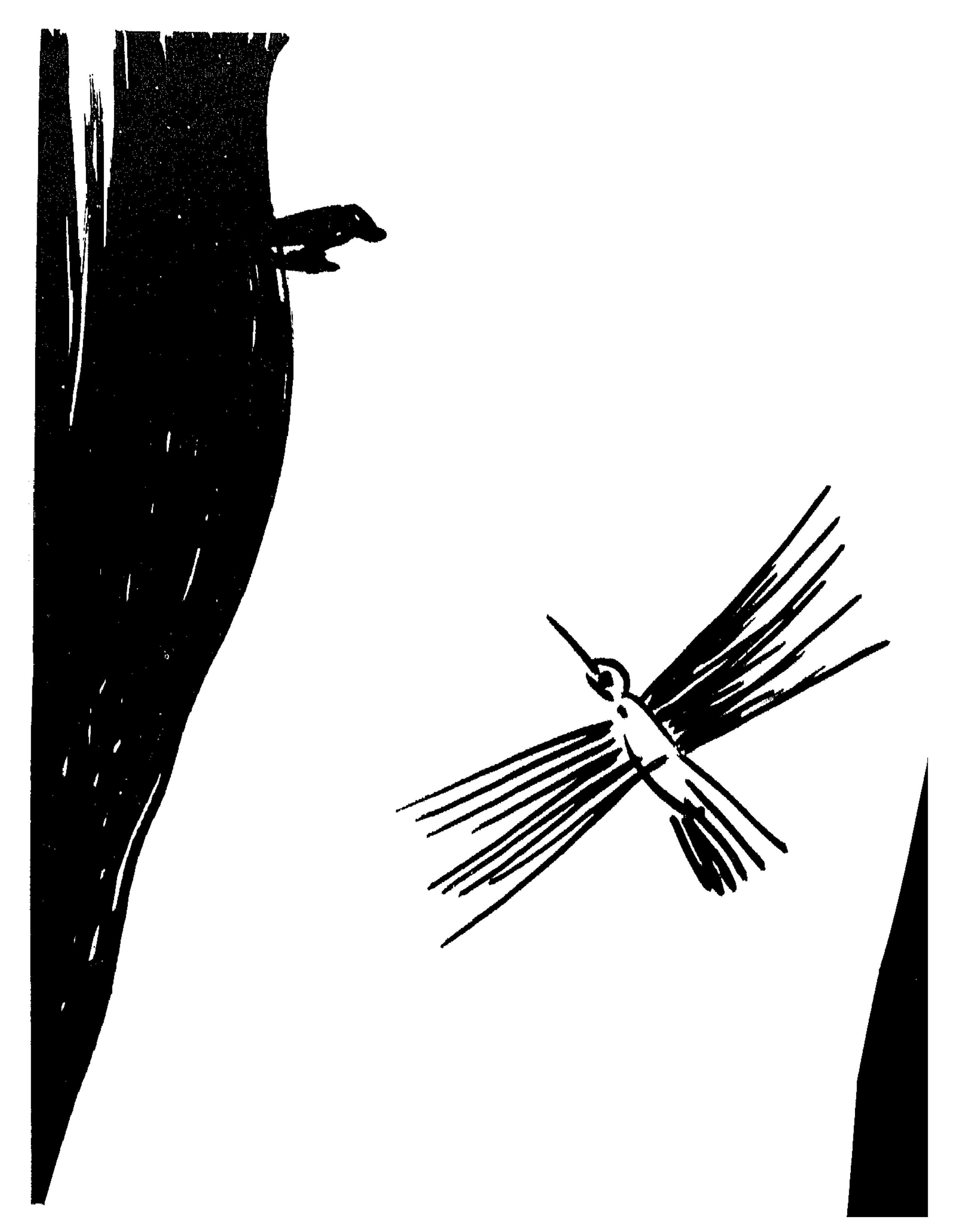
فأتنهدك ، وأذكرك ،
وأشم رائحة أيامي معك ...
وانتثر في فضاء الليل
وأتراكم كالغبار على مرايا أيامنا القديمة
وعبثاً ألتصق بصورنا الهاربة إلى داخلها ...
كيف ضيعتك أيها الشقي ، يا ربيع القلب ؟..

●

سعداء كنا ،
ولم يستطع أن يغفر لنا الناس ارتكابنا
جرم السعادة ... كان لنا ربيع في قحط شتائهم ...
وكان لا بد من عقابنا ...
وتم اعدام قلبي — السنونو
لأنه طار بعيداً عن قبيلة الغربان والشتاء والروتين ،
واحترف البحث عن الربيع والدهشة ...

●

لكني أتوق اليك ،
حين تصير الأيام مكررة وبلهاء ،
مثل أشرطة تعلم اللغات بالمراسلة ...
أتوق اليك
حين تصير الوجوه حولي أصناماً يغطيها الجليد والرياء،



وحين يصير الشوق متسولاً في دروب مجهولة ،
وحتى الكتابة ،
تصير صدأ في الشرايين ،
أتوق اليك ،
لأن الشمس لفظت أنفاسها
وداست جثتها أقدام السكارى
(بالحياة الاجتماعية) الناجحة ،
أتوق اليك ،
لأنني كلما ازددت ايغالاً في أرض الشهرة ،
كلما اكتشفت كم أنا وحيدة وحزينة
مثل مرصد مهجور في قمة جبل ...
أتوق اليك ،
لأن ذئاب شتاء الحزن
انتشرت في دروب أعضائي .
أتوق اليك ،
لأن القلب الذي عرف معنى مرورك بقريته الكئيبة مرة،
ما زال يتوق لبيارقك الملونة وأناشيدك ،
أتوق اليك ،
لأننا معاً ربيع !...

●

أيها الشقي ،
لو تزهر جذورنا في الأرض المحروقة ،
لو تشق براري الركام ،
لو تعود الريح لتكون صوتنا ،
لو !...
لو أنني لم أتركك تمضي ،
لو أنني لم أصرّ على ان امضي ،
لو ،
لو كنت أدري ،
أنني حين أسدل الستار نهائياً على مجزرتنا ،
اكون قد أغلقت أيضاً كوة الربيع في عمري ..
لو ! ...

•

لو ! ...
لو عرفنا اننا ساعة افترقنا
تدلى ربيعنا الى الأبد طفلاً مشنوقاً على شجرة ،
يهتز أمام أعيننا مثل ناقوس هائل في كاتدرائية ،
يقرع لهول عظيم ...
لو ...

•

هل يمكن أن ننسى
أنه كان لنا ربيع ؟
وأننا ركضنا معاً فوق درب المجرة المرسوم
باللآلىء ...
وراقبنا الكون كيف يزهر الضوء والموسيقى ،
والضحك حين يغسله قلبان بالحب ؟
هل نستطيع أن ننسى ربيع الوجود ،
حين أسرجنا النجوم الملونة ،
وصنعنا منها مركبة للفرح المجنون ،
ونصبنا أرجوحة اللعب الى الكواكب المشعة،
وأرحنا خدنا الى أبراج الأساطير .
لو ! ...
لو لم نفترق
وتنطفىء النجوم كالفقاعات ،
ويعود الكون ليقذفنا من رحمه ،
وتبدو الكواكب من جديد محايدة ولا مبالية ،
وخاضعة لقوانين الفيزياء وحدها ! ...

●

آه كم افتقد حبك !

ونيسان يطلق صرخته ، والأرض تمارس الفرح .

●

طويل هو شتاء الانتظار ،
بين الحب والموت ...
طويلة هي تلك الأيام
الممددة في غرفة الجراحة
على طاولة طبيب مجنون اسمه « القدر » ...
طويلة هي أظافر الليل السود
حين يحاصرك بالصحو
ويسيّجك بالذكرى
ويستبيح حجرات النسيان ،
فينبش صناديقها ،
وبالجمر يرسم على صفحة القلب
صورة لوجه كان ربيع القلب ...
تتأمله وتشهق ،
ويلتحم الضحك بالبكاء ،
وتهرب من فراشك ،
وعبثاً تغسل وجهك بالماء البارد ...
كيف تطفىء حريق القلب بغسل جلد الحواس ؟ ...

●

تعال يا من وجهك الرحيل
ونظرتك الشفرة الرجيمة ، وصوتك الهاوية ،
تعال وأزهر داخل لحمي
تدفق في روحي كالنزيف
وفجّر في ودياني ينابيعك ،
تعال ، واعبرني كصاعقة
وانتشر فيّ كعروق الذهب في الصخر
واحتوني كنار تأكل بيدراً
تعال كي يزهر البرق في رماد القلب ...
أنت يا ربيع القلب ...

ربيع ١٩٧٥

أعلنت عليك الحب

كانت القسوة خطيئتك ..
وكان الكبرياء خطيئتي ..
وحين التحمت الخطيئتان ..
كان الفراق مولودهما الجهنمي ..

●

طالما قررت : حين نفترق ،
سأطلق الرصاص على صوتك ..
وأربط جسد ذكراك
إلى عمود رخامي
وأضرم فيه النار
كما كانوا يحرقون السحرة وشرورهم ...
واليوم ، وقد افترقنا

أفكر فيك بحنان
وحزن مليء بالصفاء ،
كهمس الصحراء للسراب ..

●

فراق أو لا فراق
إني اعلنت عليك الحب ..
إني اعلنت عليك السلام ..
إني اعلنت عليك الشوق ..
إني اعلنت عليك الغفران ..
ولست بنادمة
لأني أنفقت عليك جسدي وروحي ..

●

برد . برد .
وسجادة النجاح من الجليد
وجوه الأصدقاء
حقل مزروع بالألغام ...
وأصابعهم خناجر ..
وحدك كنت
ملاذ القلب — القنفذ ،
ولأجلك وحدك ،

استحالت اشواكه سنابل
ربما لذلك ،
كانت طعنتك الأشد حذقاً ونفاذاً ...

●

قليل من الشجار
ينعش ذاكرة الحب ...
قليل من الشجار
ينعش قلب الحب ..
لكننا شربنا من خمرة الشجار
حتى ثملنا
وقتل كل منا صاحبه
وعربد على جثته
حتى دون ان يلحظ ذلك !..

●

وأيضاً أغفر لك
انك حولتني من عصفور الرحيل
إلى مسمار في تابوت الغم

●

كنت ممتلئة بك ، راضية مكتفية بك
ولكن زمننا كان مثقوباً ..

يهرب منه رمل الفرح بسرعة

●

أتعذب ...

بسبب ما فعلته بك ...

بعد أن ارغمتني على ان افعله بك

●

أعلنت عليك الحب

أعلنت عليك السلام

أعلنت عليك الغفران

بقي أن تعلن على نفسك

السلام والغفران

اما الحب

فأنت بجسده ...

●

تم كل شيء بسرعة الصاعقة

وامتزجت في حكاياتنا

شهقة الولادة

بشهقة الاحتضار

●

طويلاً تعثرت

في شبكة عنكبوت الحيرة ...

وكانت كلمة وداعاً
جسر الفرار الوحيد الباقي ..
وكانت كلمة وداعاً
قاسية كضربة إزميل في رخام ..
وها هي ثلوج النسيان
تهطل تهطل تهطل
وعبثاً تغطي معالم حديقة حبنا ...

●

قبل أن انام
اطرد صورتك من رأسي
بكل تعاويذ العقل
وكل القوانين الاجتماعية ..
ولكن حبك يقطن
تلك الدهاليز في اعماقي
التي لا تطالها سلطة الملك — العقل
حبك يتكاثر
ويتناثر في داخلي
ويصدعني ،
ويتناسل دونما مبالاة بشهادات الميلاد الرسمية ...
وهكذا ،

حين اظنني رحلت إلى النوم
يظل جزء مني يتابع حياته السرية ،
مسكوناً بك ..
ممعناً في حبك ..
ويوقظني عند الفجر
بضربة من فأس الشوق
في منتصف رأسي ...
أهو صداع ؟
أم تصدّع في روحي ؟..

●

أيها القريب على مرمى صرخة
البعيد على مرمى عمر
اني أعلنت عليك الحب
اني أعلنت عليك السلام
اني أعلنت عليك الغفران
رغم كل ما كان
وما قد يكون !..

شتاء ١٩٧٥

وحده حبيبي الحقيقي ...

لقد نضج الموت في حقولي
فمتى القطاف ؟
تنسحب الحلزونة الى صدفتها
ينطوي الذئب الجريح على نفسه
تنحسر الخلايا داخل متاهاتها
وحتى المحيط يحشر نفسه في مغارة
والحائر يلتف في قشرة صمته
فمتى ،
متى يلملم قلبي الضال مواسم جنونه
ومتى تحنو القسوة على ذاتها
وترق الشراسة على جروحها ؟

●

كلهم يتساقطون عني
في براري الهرب والغربة يتدثرون بخدرهم

كلهم يتناثرون عن مسيرتي الاكيدة
نحو قارة الصحو اللامتناهي ...
بياض جدران المستشفى ، بياض ابرة المصل ،
بياض الصمت
تنتظم أنفاسها
متواترة مع أنفاس الليل الوديع ...
وحدها آلامي
تتلاحق نبضاتها
وتشمخ نائية
وتنتصب كعمود النار الراقص ...
وسط الغابة الساكنة ...

●

حين يتعب جسدي
من الرجال جميعاً ...
يتسلل « السيد الحزن »
ليعانق روحي ...
يعرف جيداً رقم هاتفي ...
ويعرف طريقه الى مخدعي ...
ويدوس بقدميه الثابتتين ،
جثث عشاقي المتلاشين حولي ...

وأستقبله دونما دهشة أو بكاء ..
مرصودة له ..
وتسجد الضوضاء ،
حين يسعى الي حبيبي ...
ويحبس كوني أنفاسه ،
حين يحتويني حبيبي « السيد الحزن » ...
وتتاصص الصقور والغربان ،
لترى عرسي الوحيد الحقيقي ...

●

وحين أتأمل وجه حبيبي
« السيد الحزن »
حين أتأمل وجهه جيداً
أرى وجهي
كما لو كنت أحدق في مرآة .

●

أتأمل عمري على شاشة الجدار الابيض :
آه كل ذلك الضجيج لا يجدي ...
كل ذلك الصخب والعتب
ومسرحيات الوصال والشجار
وكل ذلك الركض المسعور في الليل

والاحاديث الهاتفية الصباحية المحمومة
واللمسات المختلسة ،
والنظرات الخجلة المشحونة بالصراخ
كل ذلك لا يجدي ...
فـ « السيد الحزن »
يعرف دوماً طريقه إلي ...
وحين يمد أصابعه الشفافة ،
تنهار كل حصون الزحام والصخب ،
مثل بيوت من ورق اللعب ..
هدمتها في غمضة عين رفة عصفور ...

●

لقد جربت كل الوصفات
ضد حبيبي الحزن ..
وحملت كل الاحاجي العتيقة ..
ولففت على جسدي كل التعاويذ ..
ومارست كل ما تعرفه المرأة
منذ أقدم العصور
وكل ما اكتشفته في آخر الزمان ..
واتخذت من أوسم الرجال دروعاً
واختبأت داخل أجسادهم منه ...

لكنه يا إلهي كضبع الأساطير ،
وحين يهمس تحت نافذتي ،
لا أملك إلا أن أتبعه مسحورة منومة ..
الى وديان الأنين الباكي ..

●

اسكن قصراً ؟
في الشوارع ينطلق قلبي
في الشوارع ينطلق قلبي
وحيداً تحت المطر
بلا معطف ، وبلا مظلة
بلا مظلة

●

يا حبيبي يا طفلي يا حبيبي
يا حصني ضد زحف الكوابيس
افتح عينيك
ومدّ اهدابك سقفاً
فقلبي وحيد وحيد
كأصبع مقطوع عن جسده
وروحي شهقة
بدأت بالتلاشي
بالتلاشي ...

●

مغفورة خطايا كل الرجال الذين عرفت
مغفورة خطايا الذين احببت
فأنا لم أخلص لأحد منهم
وكنت باستمرار أخونهم
مع حبيبي « السيد الحزن »
حتى وأنا معهم
بل بالذات وأنا معهم ...

●

الليل طويل طويل
لكنه لا يتسع لتنهيدة من صدري ...
والشوارع مظلمة مظلمة
لكنها تضن بالمفاجأة أو الدهشة ...
والابجدية شاسعة
لكن الحوار قد اهترأ ...
وحده الحزن
يطل لامتناهياً ، واثقاً من نفسه
وحده يعرف كيف يمتلكني
وفي ملكوته وحده
أعرف شهقة التلاشي ..

المستشفى – ليلة ١١ - ٢ - ١٩٧٥

معك عرفت ان الأرض مسطحة !...

يا غريب ...
لا تصدقني حين أقول لك
انني نسيتك ...
وان صدرك لم يعد وكري
وان عينيك لم تعودا أفقي
وان غضبك لم يعد مقصلتي ...
فقلبي ما يزال كرة ذهبية
تتدحرج على سلالم مزاجك
وساحات الصحو والمطر في أيامك ...

●

ولا تصدقني ،
حين أقول لك : انتهينا ..

وأرمي في وجهك
كنوزي التي خزنتها كبخيل :
رسائلك ، وموسيقاك ،
وعقداً من الياسمين الجاف
وقارورة عطر فارغة
وشمعة نصف منتهية ..
لأني بعد أن تمضي
ألملمها عن الأرض بشفتيّ
وأغسلها بنبيذ أساي ..
وأستحيل قصبة مثقوبة ..
تصفر فيها رياح الندم ..



●

مع كل فجر
أعدّ نفسي للفراق
كعروس تزف إلى حبيبها المرصود لها ...
وبأحزاني أطعن وجه النهار
وأعد نفسي للفراق
وأقول لك انتهينا ...
لكن حقل الجمر في وادي حبنا
ما يزال يغلي تحت الرماد ...

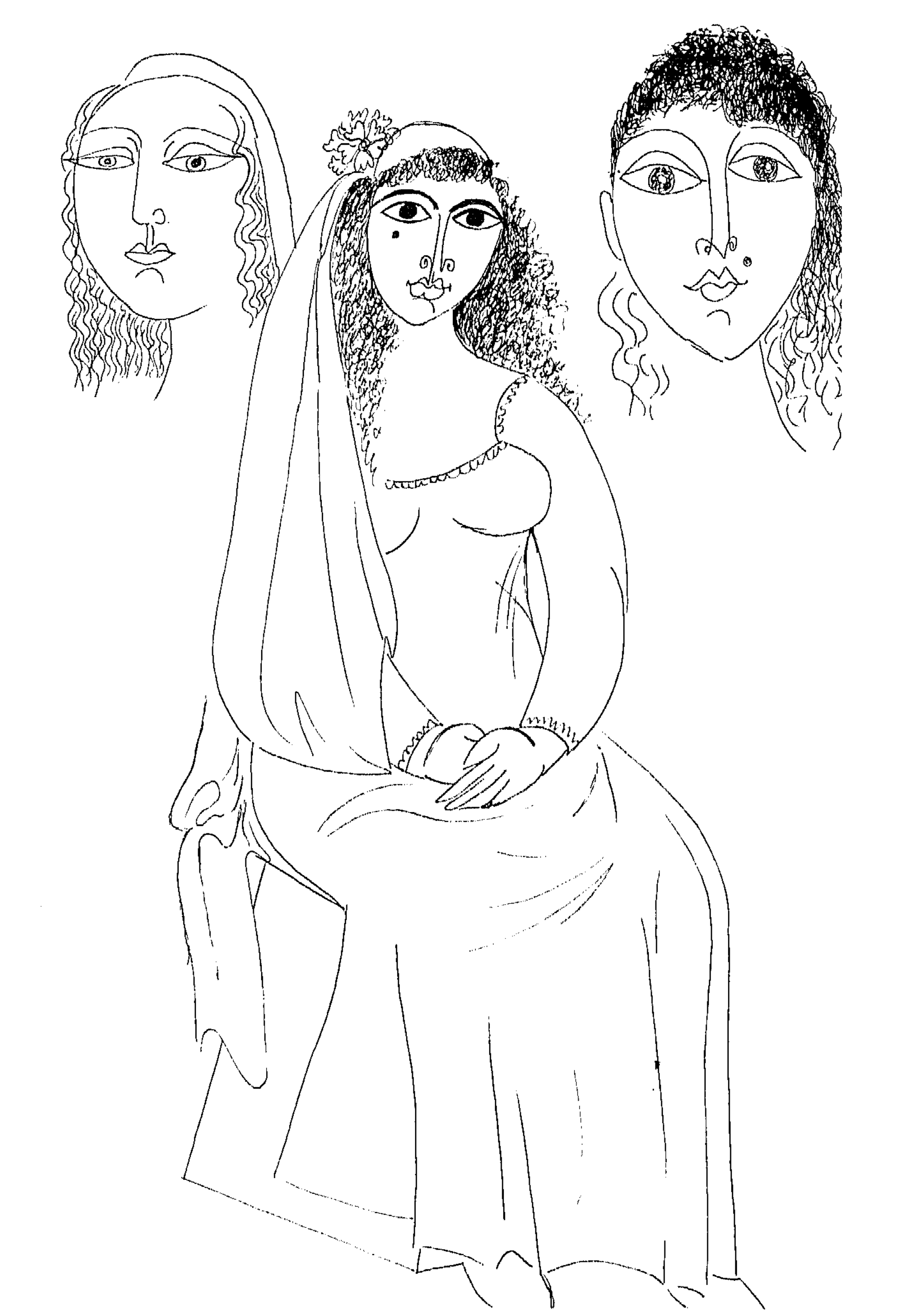
وشوقي اليك ،
ما يزال مثل طيور البحيرات
يهب نحو ضفافك

●

قبلك ! كثيرون .. ولا أحد
بعدك ؟ انت !..
قبلك كنت امرأة تتثاءب
بينما يقبلها رجل ...
وتتابع برامج التلفزيون
بينما يحتضنها ...
قبلك كنت أحتضر ضجراً
مثل نقطة داخل دائرة !..

●

معك استحال جسدي
من صحراء قاحلة إلى عنقود من ضوء ...
وصار قلبي غزالاً ،
وصارت أصابعي خمس فراشات ..
معك وحدك انصهرت ، رقصت ، تناثرت
استحلت جنية أسطورية عارية
تركب حصاناً عربياً أصيلاً



يعدو بها إلى فجر الفرح ..
مخلفاً مقبرة الماضي خلفه ..

●

معك عرفت سكاكين الانتظار ،
والهاتف الذي يجيء ولا يجيء
(الهاتف الذي ينشر الحب في المدينة كالزكام) ..
معك عرفت أغاني
جنيات الشك ، والخوف من الزمن ،
وكنت قبلك لا مبالية كطاحونة هواء
وشاردة كسمكة ..
معك عرفت أن الأرض مسطحة
لأنها ممدودة على طول جسدك وسريرك ،
وتنتهي عند أصابع قدميكِ
معك عرفت أن الأرض لا تدور ..
وانما تتكوم أمامك كقط وديع لاهث ...
وحينما تبتسم تستحيل الأرض حلماً شفافاً وتعوم
كالزورق فوق بحيرات قوس قزح ...
معك عرفت كيف تستطيع الموسيقى
أن تكون حفارة
تفجر كل لوعة القلب المرهق ..

معك صار جلدي القلق ، ووسادتي الوساوس ...

●

من سقف الصمت
يتدلى صوتك العاتب كالمصباح الشرس ..
آه لا تعتب يا غريب ..
ليس صحيحاً أني نسيتك ..
لكنني كرهت أن أغسل فراقنا المحتوم
بالدمع وبقايا الكحل ،
وألفّه بكفن كلمات الوداع التقليدية
لذا أشعلت فيه نيران الكبرياء
ورميت برماده في البحر
حفنة من الصمت واللامبالاة ...
وها هو حبي ينهض من رماده
ليحبك من جديد ...

●

كيف تصدّقني يا غريب
حين أقول لك انني نسيت ؟..
وانني صرت استعرض أيامنا الماضية
بحياد عالم آثار أمام رف في المتحف ؟..

●

كل تلك اللحظات المضيئة كالشموع
هل يمكن أن تنطفىء إذا حاصرتها رياح الحزن ؟
كل تلك الأيام الجميلة ،
مثل سرب من الأحصنة البرية
انطلقت إلى الأبد في حقول ذكرياتنا ..
وستظل تركض ،
تركض داخل عيوننا
وتمنع ذاكرتنا من النوم عما كان ...

●

كيف تجرؤ على أن تصدقني
حين أقول لك
ان شرنقة النسيان
نبتت حول تلك اللؤلؤة الوحشية السوداء
التي كان اسمها حبنا ؟..
هل نسيت ارتجافي بين يديك
مثل عصفور لم يتعلم الطيران بعد ؟..
وساعات الهمس ؟..
ومسحوق الجنون
وسحابات انين المتعة ؟..
كيف تنسى ؟

وكيف تجرؤ على أن تصدقني
حين أقول لك انني نسيت ؟

●

وكيف كيف أغفر لك ،
انك صدقتني
حين قلت لك انني نسيت ؟...

١٩٧٥

ايام بين الجمر والرماد

طويلاً تمددت على الشفرة
بين قارة الحب وقارة الوداع ..
وتعذبت بصمت ،
وها قد هبط طائر النسيان اخيراً ،
واستقر فوقي كرخ اسطوري
وهيمن على جسدي وروحي
وها هو يلفني بجناحيه :
جناح النوم
وجناح السكينة
بعدما عصفت بي رياح الأرق والعذاب
وطوحتني في الفراغ ريشة طائر دامية ..

●

اني لا أصدق ،
كيف انتقلت فجأة من مرحلة الجمر

الى مرحلة الرماد
وصار اسمك نبعاً للذكريات العذبة ،
الذكريات . الذكريات .
الذكريات : لا أكثر !...
وانتهت رحلة الخروج
عن منطق الزمان والمكان ...
وعاد قلبي ليدق ببطء وانتظام
وفقاً لقوانين الفيزياء ...
بعد ان كانت ضرباته لك
قرعات طبل وثني في معبد للعراة والشمس ..

●

وانتهت مرحلة الجمر ،
وها أنا أعود الى نافذتي العتيقة
أتكوم داخل جسدي العتيق
أرقب الخريف يزحف إلى الحديقة
وفي دمي صهيل أحصنة لا تتعب
تحمل إلي باستمرار ،
أفراح الربيع المقبل وفارسه ..

●

عمر الكبرياء عندي
أطول من عمر الحب

ودوماً يشيع كبريائي حبي الى قبره

●

ولم أدر أبداً
جلاداً كنت أم ضحية !..
قاتلة أم مقتولة ؟..
في الحب يختلط الدوران .

●

من خلف براري الحزن
يعود وجهي إلي
وقد خلف هناك جسد أيامنا الماضية
هامداً ومنسياً ومصلوباً كفزاع طيور ...

●

طالما استيقظت مشنوقة بحبل ياسمين
اشتريته لي في الليلة الفائتة ..
أتأرجح وأتدلى في الفجر الزجاجي الساحر
وأصرخ اسمك
بحنجرة مقطوعة !

●

كان من المستحيل
أن ينبت قمحي فوق صخرتك
وكنت أعرف ذلك منذ البداية ..

ولكنني نشرت فوقك سحبي
واحتضنتك كما يحتضن البحر الأفق
فالمستحيل حرفتي .

●

ظللت زمناً طويلاً
والكدمات تملأ قلبي
والمستحيل حرفتي
وأحبك !..

●

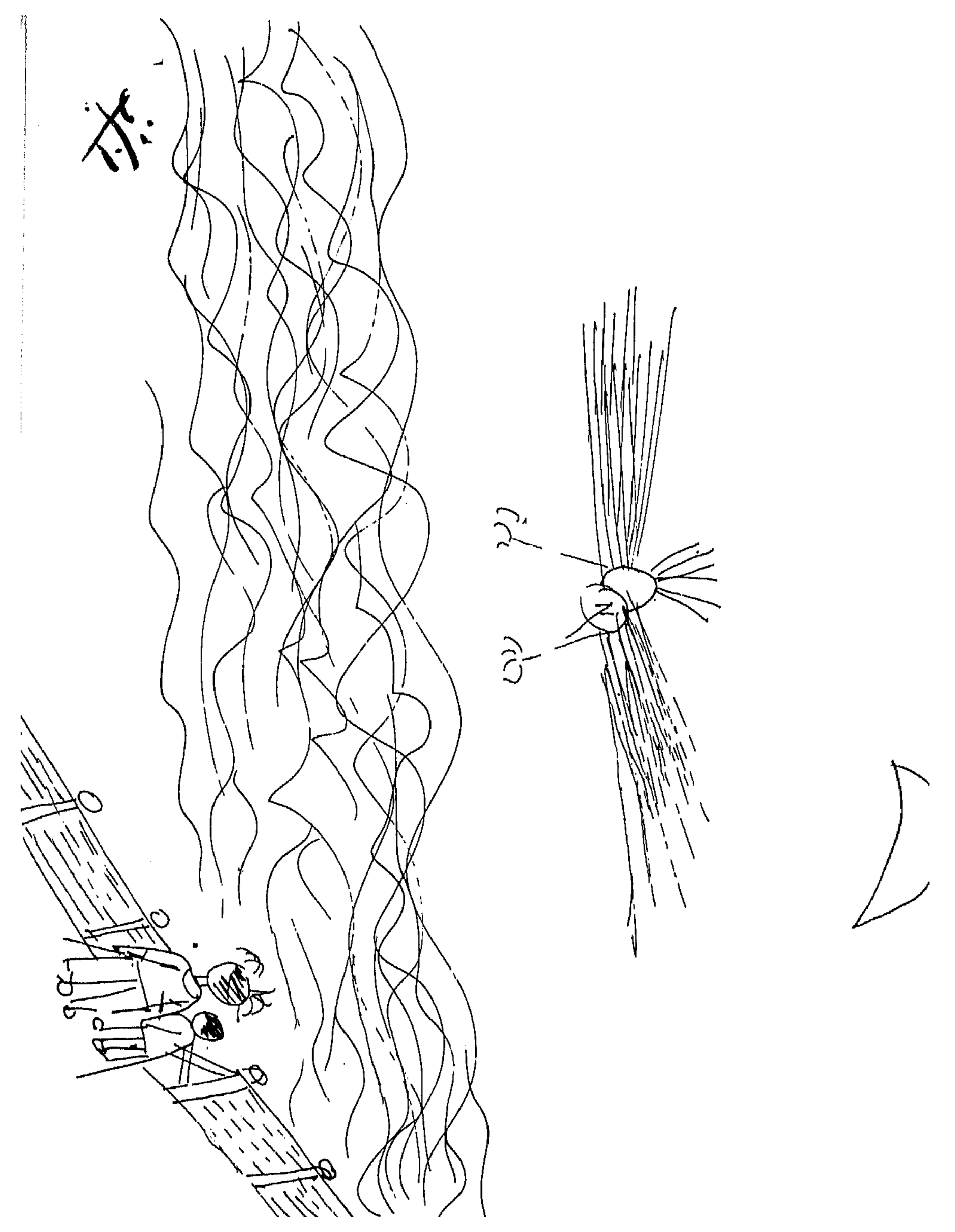
الآن تتناثر أيامنا الجميلة كالغبار المضيء
كل ذلك الماضي العذب
تحت عجلات قطار الزمن .

●

لقد أحببتك زمناً
لكنني لم أفقد القدرة أبداً
على التمييز بين أعضاء جسدي
وأغلالي !..

●

من اليأس البارد
تشرق دوماً شمسي السوداء



وأعود صلبة وكثيفة وحارة .
أصير امرأة مسكونة بالآهات
التي لم تقتلها !..
تشرق شمسي السوداء
وأصير منصهرة وصلبة
لأنني أعاود طيراني
محرقة ومحترقة
دونما نهاية ...
لقد احترقت عشرات المرات
حتى غادرني غباري وبكائي
وغادرني نسيج العنكبوت
الذي تحيك منه النساء عادة
عواطفهن الميلودرامية ...
فشمسي السوداء
تشرق دوماً من جرحي ،
تحرق رخاوة الخوف والتمهل ...
وحين تظنني قد متّ ،
أكون قد بدأت استيقظ
مثل غابة مسكونة بالأسرار
وبأكثر مما نتوقع أو ندري ...

وحين تظن انني قد بدأت أبكي
أكون قد اكتشفت كيف أضحك
بملء شفاه جرحي !..

●

أوغلنا معاً في غابة الجنون
وتجاوزنا كل الاسلاك الشائكة
وضحكنا من كل لافتات « ممنوع المرور » ..
وها نحن اليوم نأكل جثة ذكرياتنا
على مائدة النسيان ...
مباركة كانت أيام الحب ،
ومباركة أيام الاحتضار
ومبارك انتحار الذاكرة ..

●

أودّعك ،
وأعود الى حروفي
ألفّها جبيرة حول أعضاء ايامي
التي كسرتها الخيبة ..
وحدها عكازي
في مسيرة النسيان .

١١ – ١١ – ١٩٧٤

كم أحب ان أحبك

ذلك الصباح ، حين أيقظتك ،
وجاءني صوتك على الهاتف
مسكوناً بالنعاس والبراءة ،
شعرت بأنني ولثانية
لمحت وجهك الحقيقي العتيق ..
وكما تضيء ومضة البرق كل شيء لبرهة ،
شاهدت عبر صوتك الصباحي
حقولك وجبالك ووهادك
وكانت فسيحة ومترامية
وباهرة الفرادة
مثل كوكب الأمير الصغير

●

ذلك الصباح ، حين ايقظتك ،

كانت مخالبك ما تزال نائمة ،
وانيابك ما تزال مسترخية ،
ومخاوفك وشكوكك وبالتالي شراستك
ما تزال تغط في النوم ...
وجاءني صوتك شهياً ، مسكوناً بلهفة المراهقين ،
ينبض حرارة وانت تقول : « صباح الخير حبيبتي » ..
وتخيلت أن جسدك لا بد وأن يكون في تلك اللحظة ،
حاراً ونابضاً كصوتك ...

●

حين تكون هكذا ،
لا أملك إلا أن أحبك ،
حين تكون نصف نائم ، نصف يقظان ،
تصير رجل الحب المثالي ...
تصير حناناً بلا شكوك ،
ولهفة بلا ذاكرة ،
وعطاء بلا مخاوف ...

●

ولكنك حين تستيقظ ،
تصير رجلين ،
رجل يحب ، وآخر يحاسب ،
رجل يقبل ، وآخر يضحك من الذي يقبل ،

رجل يقول انه سيمنح إلى الأبد ،
وآخر يهمس ساخراً : أي أبد أيها المراهق ،
أنت فانٍ ، والحب فانٍ ،
وكل ما تقوله أو تفعله ليس جديداً ،
سبق لك أن قلته
وسبق للرجال أن فعلوه وكرروه نصف مليون عام !.

●

لا يهمني ان تقول لي كلمات مكررة ،
لا جديد في اللغة ،
لكنني استطيع أن اميز نبض الكلمة وشرارتها ،
وأستطيع أن اميز ، بين لغة ممدودة على أرض الصباح
مثل الأسلاك الكهربائية التي لم توصل بعد ،
وبين شبكة من الشرايين والأعصاب ،
لها شكل كلمات ...
فقل لي كلماتك القديمة كلها ،
قل لي كل كلمة قلتها لامرأة سواي ،
ولكن قلها وأنت نصف نائم ، نصف يقظان ،
وقلها بحرارة ،
كحرارة جسدك لحظة اليقظة الاولى ...

●

كم أحب أن أحبك
لا يمكن لامرأة مثلي ،
إلا أن تحب وغداً مثلك ،
لحظة تكون نصف نائم ، ونصف يقظ ،
ومخالبه غارقة في ريشها كمخالب القطط
نصف الغافية ، نصف المتأهبة للصيد ،
وأنيابه ، ومخاوفه ، وشكوكه ، آثامه وأحقاده ،
لما يستحضرها عقله الواعي من مغاور الحذر ...

●

ها أنت قريب ،
على مرمى دمعة مني ،
وبعيد ،
على مرمى عمر !...

●

أيها الشقي ، كيف ضيعتك
في زحامي ،
أيها الشقي ، كيف صدّقتَ زحامي ،
كيف صدّقت زحامك ؟...

●

أيها الشقي ، اكرر :
الصداقة مشروع حب ،

والحب مشروع جرح ،
فهل في صدرك موضع لطعنة ؟...
بل الصداقة مشروع خيانة ،
والخيانة مشروع ضجر ،
والضجر يقظة ...
فهل لديك لحظات
بين النوم واليقظة ، بين الخدر التام والوعي التام
نعيشها معاً
قبل أن نغرق من جديد في رتابة النوم أو بلادة اليقظة ؟..

•

انا نهر من النزيف
عبثاً يوقفون تدفقه بسدادة زجاجة نبيذ
أشتهي صخورك سداً
يوقف انهيارات الدقائق والثواني ...
ولا يهمني بعدها ،
ان سقطت مضرجة بالذكريات
أو سبحت في بركة من أحزاني ...
المهم أن نلتقي ثانية ،
في لحظتك المجيدة تلك ،
حين تكون نصف نائم ، نصف مستيقظ !...

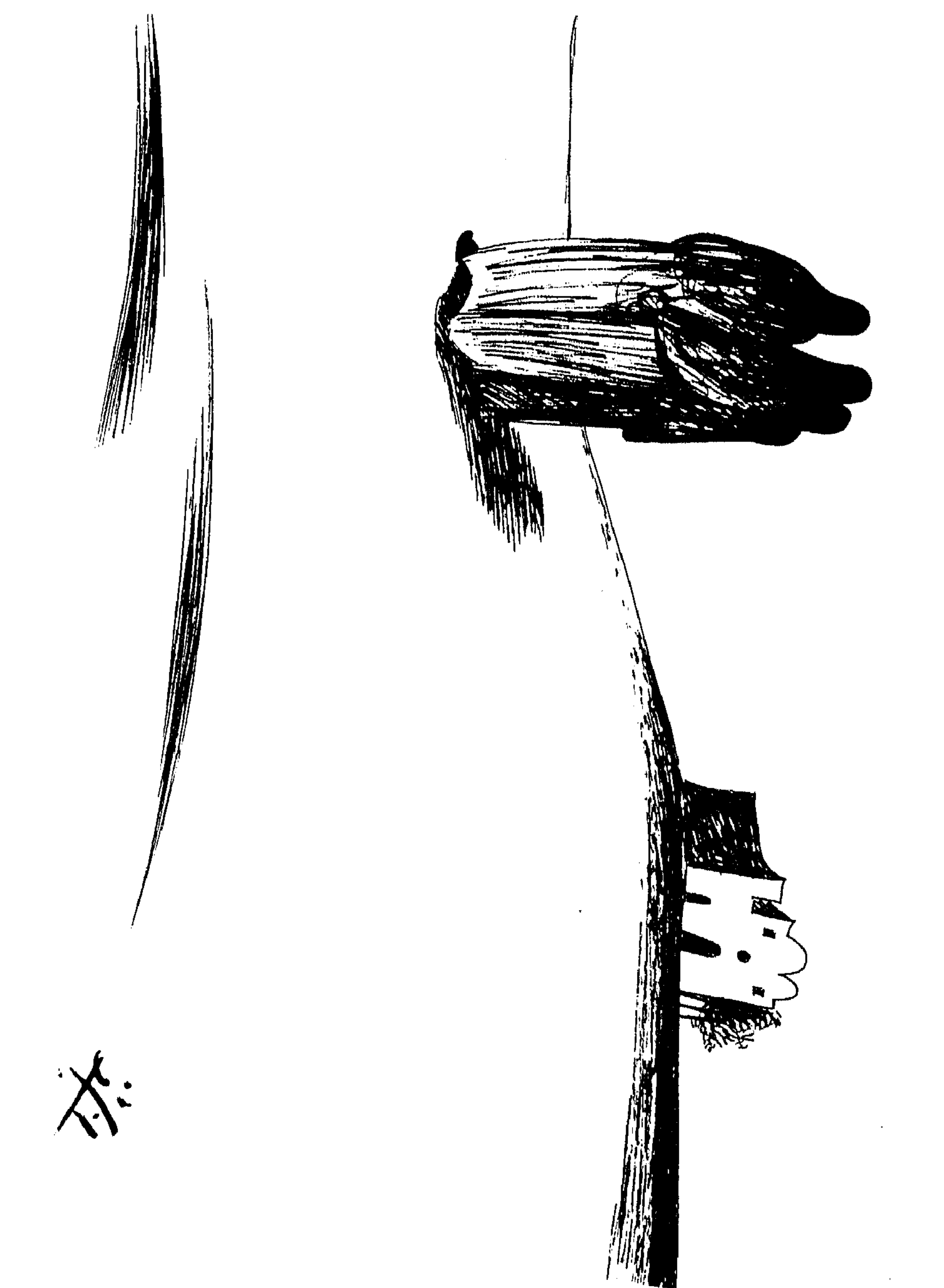
تشرين ١٩٧٤

أسافر ... وفي حقائبي ذكرياتنا

وافترقنا ..
وها انا حفنة من الزجاج المسحوق
عبثاً تستعيد صورتها كامرأة ...

●

وافترقنا
السفن تطلق صرخات الوداع
في مساء المرافىء ...
والطيور المهاجرة
لا تملك إلا الطيران
في مدارات رحيلها المحتوم
وزمن المد انتهى
وها هو الجزر ينحسر



عن الصخور التي طالما ملأ ثقوبها الموحشة
ماضياً عنها إلى غير رجعة ...
لا قطرة في الموج
قادرة على العودة إلى ذرة رمل سبق واحتضنتها
كل ما في الطبيعة
يستعصي على التكرار
وكذلك حبنا

●

وافترقنا
يا للجنون ... وأنا أحبك هكذا
وانت تحبني هكذا
أي شيطان يسكنني
ويجعلني أغمد سكيني
في جسد الحب الغض
مستبقة بذلك
سكين القدر المحتومة ؟

●

أي شيطان يسكنني
حتى أصرخ كساحرة مجنونة :
بيدي لا بيد الزمن ...

علي وعلى احبائي يارب !..

●

وافترقنا

وسوف تنقضي أيام طويلة

قبل أن نمر في الشوارع

التي طالما احتضنتنا معاً

دون ان تقفز صورة كلٍ منا

داخل عين الآخر

واسمه ..

والحوار الذي تبادلناه هناك

وضحكاتنا المختبئة في الزوايا ...

وسوف تنقضي أيام طويلة

قبل أن ألفظ أسماء أصدقائي

الذين يحملون اسمك نفسه ،

دون أن أغص ويرتجف صوتي ...

وسوف تنقضي أيام طويلة

قبل أن اسمعهم يتحدثون عنك

ويلفظون اسمك

دون أن تغمد في صدري

سكين الشوق ..

وسوف تنقضي أيام طويلة .
قبل أن أخط اسمك
دون أن تدمع عين قلمي !..

●

وافترقنا
لكن الزمن لا بد وأن يمر بدواليبه
فوق جسد ذكرياتنا
ويطحنها جيئة وذهابا ...
وفي النهاية ، لا يبقى إلا التراب ...
من الضوء وإلى التراب تلك حكايتنا ...

●

وافترقنا
وها أنا أرحل ،
وفي حقائبي الذكريات ...
آه الذكريات .

●

اودعك
وأقف على طرف الكرة الأرضية
ثم أقفز الى الظلام ... والمجهول

●

فراقك
شوكة في حلق زمني الآتي

●

لا جسد لهذا الحب
في فضاء الأيام
لا مكان له في عمرنا المطعون
ولم يعد بوسعي أن أخطو اليك
ولم يعد بوسعي أن أخطو عنك
هذا زمن الانهيارات
والفوضى استولت على مدارات حبنا
هذا زمن الانهيارات
وارقب أنياب الخلل
تلتهم أعصابي
لم يعد بوسعي أن أصرخ
لم يعد بوسعي أن اناديك
لم يعد بوسعي أن أذكرك
ولم يعد بوسعي أن أنساك
من الضوء وإلى التراب .. تلك حكايتنا !..

لندن — ٢٠ — ٥ — ١٩٧٥

عزف «غير منفرد» على عود الشوق

ذلك الالم الدقيق
الذي لا اسم له ولا تبرير ،
يخترقني حتى العظم
بلحظاته العابرة الكاوية ...

●

حين أودّعك
بعد اللقاء العذب ،
يظل جزء مني لا يصدق
انك بعيد ...
وحينما تصفعني
إطباقة الباب خلفك
مع رحيلك المسائي ،
أشعر بأني أرحل داخل بئر ...

●

وحينما أسمع لحناً
أحببناه معاً ،
يجتاحني حزن لا حدود له ...
أصير شرياناً ينزف
في غابة الشوق المظلمة ..
ورغم ان اللقاء آت
لكنني عبثاً أرشو الفراق
بأمل اللقاء ..

●

ما أسهل الحديث عن الفراق
حين تكون ثعالب الزمن الماكر نائمة
وحين يكون رأسي فوق صدرك ...
وما أصعب السكوت عن الفراق ،
حين تنتصب بيني وبينك
قارة من العتب ...

●

حين نكون معاً ،
أغلق النوافذ وأسدل الستائر ،
وأقفل الباب بالمفتاح مرتين ...
لأمنع الفراق

الواقف خلف الباب
من الدخول ،
ولأمنع الموت من التسلل
والأرواح الشريرة ، والحسد ،
ولكن ، ماذا تجدي اقفال العالم
وأسواره وتعاويذه وحجاباته ،
أمام سكين الوداع
التي يشهرها كل منا
مهدداً بها جسد طفلنا : الحب ؟

●

حين أراك
يتنفس الحب الصعداء ...
وحين تغيب
يولي الفرح الادبار !..

●

حين افترقنا
صرت متسولة
على رصيف النسيان ...
وحين التقينا
عدت متسولة

على رصيف الانتظار ...

●

... وفراقك يعذبني !
فحبك وعائي ،
وبدونك أنا قطرات زئبق
شاردة على سطح الليل المحايد ...
... ولقاؤك يعذبني !..
وتحت سطوة حبك الصاعق
أتقزم ، ، وأتفتت ، وأتلاشى ...
أ ت ل ا ش ى
وحضورك المغناطيسي الجبار
يدمر بوصلتي
ويستلب من دماغي الاتجاهات

●

أيها النقي
كالثلج الذي لما يهطل بعد ،
يا نقاء ثلج العام المقبل ؛
أحبك
بكل اللهفة الممكنة
وكل الغصات ...

أيار ١٩٧٥

وأشهد ضدك أمام محكمة الليل !

أجلس ، وأتأملك
وأشهد ضدك أمام محكمة الليل ،
وأحاكمك ،
وأصدر الحكم عليك ،
وأنفذه بك في ساحة القلب
وأنت ما تزال تقلب صفحات مجلتك
وتتقلب فوق قرص الشمس
وترفع إلي نظراتك الاليفة
من وقت الى آخر ...
وتحدثني عن هيلا سيلاسي !...

●

وأظل غارقة في صمتي

وحلقي مغارة ملح :
أنفذ الحكم بك !

●

حكمت عليك — وشهودي النجوم —
بالحرمان مدى الحياة من حبي ...
وبالسجن الى الأبد
في قفص حريتك ...

●

... وها أنا أتأملك للمرة الاولى بعين محايدة ...
بعد أن كانت حواسي كلها
حليفة لك ضدي
وكانت كلها
تتفنن في أداء الشهادات الكاذبة
لمصلحتك ...

●

أتأملك بحياد
ولأول مرة ، أراك حقاً !...
أنت مسكون بلا مبالاة رتيبة ..
وحتى حبنا الذي كان زلزالاً
حولته أنت الى ... هدنة !!..

●



أنا ، جمرة الحب
المتقدة في ليل الغرباء ...
وأنت تحب على طريقة الطيور ..
وها هي الرتابة
تدخل من موقدنا الصدىء
وعما قليل
ينبت فطر اللامبالاة فوق رمادنا ...

●

هذا الحب يحتضر
كبجعة جميلة نزفت أيامها
على شطآن الضجر ..
هذا ما تقوله أظافرنا المنكسة
وراياتنا المحترقة
وحطام مراكبنا ، والهشيم ،
وجلستنا الهادئة الفاترة
كجلسة غريبين في فندق
أجبرا على الاشتراك
في غرفة واحدة !...

●

كيف لا أذبحك سبع مرات

ثم أطلق الرصاص عليك ،
في ساحة القلب ،
ـ بينما أتأملك بصمت ـ
وأنفذ حكم محكمة الليل بك ؟...

●

... وكيف أستطيع أن أغفر لك
أنك نقلتني من درجة الغليان الى ما تحت الصفر ؟..
وكنت الضوء في جلدي
والشهقة الفرحة في عيوني
وكنت كل ما هو جميل ونبيل
وكل ما احترف التحدي ...

●

وكنت هاجسي وعقابي
وكنت أحمل لك في صدري حباً ،
يستطيع أن يركض به قلمي
على السطور ، مضيئاً كمنارة ...
وها أنا أجلس صامتة
كيف استطعت اغتيال صوتي ؟..
وكل ذلك الحب الملتهب
كيف استطعت

أن تحوله في فمي
الى قطعة ثلج متجلدة ؟...

●

ترفع عينك عن مجلتك
وتنظر إلي دون أن تراني
ودون أن تدري
ان العقارب تغلي
تحت رمال ابتسامتي
وأنني أحقد عليك
حقداً شاسعاً ومجيداً
لانك وحدك
وحدك استطعت
أن تقتل حبي لك !!؟

١٩٧٥

أفتقد عذابي بك ؟

لأني من أجلك وحدك ،
كسرت صدفتي العازلة ،
وجئتك جديلة من الأعصاب العارية ،
عن الخوف والآخرين والبارحة والغد ،
لأني من أجلك وحدك ،
ظللت صامتة ما يقارب العام
وانا ارقبك تتحسس جدران صدفتك
التي عجزت عن كسرها بنفسك ،
وتشتم صدفتي انا !..
لذا ، احس برغبة وحشية
في أن اقهقه معتوهة بفرح كسيح
وبشماتة سرية

لأنك خسرت الحب
ولم تربح حتى الحزن !..

●

كان الأمر هزلياً ،
فأنت لم تفهم قط أني أحببتك ،
ولن تفهم أبداً ،
أنني سأظل زمناً طويلاً ،
أسمع صوتك ،
فأنتفض كاصبع عازف بزق ثمل ...
ألمحك ،
فتستيقظ أشواقي القديمة للركض معك
في حقول شاسعة النقاء يغسلها المطر ويغسلنا ،
أراك ،
فتهب على وجهي مثل نسمة مثيرة قادمة من كوكب غامض ،
وأحلم بك ،
وأفتقد عذابي بك ...

●

لما غدرت بي حزنت لأجلك
فقدرك أن تكون شفرة مقصلة

تتغذى بالدم والدمع واللعنات
فأنت لا تدير رؤوس النساء فحسب
بل وتقطعها ...

●

تتكوم داخل صدفتك
مثل عنكبوت محنكة ترصد ضحيتها
وقد انسحبت إلى أظلم ركن في شبكتها ،
حين جئتك عارية من صدفتي ودروعي وأسلحتي ،
ومن خبثي النسائي ،
ظللت مرتدياً قناعك
وحين انكشف لي وجهك الحقيقي ،
لم أبك حزناً على نفسي ،
بل بكيت حزناً علينا معاً ...
وحين توهمتَ انك انتصرت ،
كنت مهزوماً ،
لأنك عاجز عن الحب !..
جرحي هو نصري ،
اني — على الأقل — ملكت الحب لثانية ،
والحزن ربما إلى الأبد .

●



بك ، كنت احتمل عبث الحياة ،
وكل الأحزان
التي تنبت باستمرار في حديقة الصباح ،
بك ،
صنعت خيمة حنان
سكنت اليها وفيها ،
وكففت عن أن أكون
عود ثقاب مبتلاً ومكسوراً ...
ولم أكن أدري ،
انك لم تكن أكثر من صبي مغرور ،
خرج لصيد أي عصفور ملون في الحقل المجاور !..
ما كان بيننا ،
لم يبلغ لديك مرتبة الحب ،
كان مجرد تواطؤ
وحين بلغنا بركان الحب المفروش بالجمر ، خطوت ،
ولم أجدك إلى جانبي !..

●

شيء محزن حقاً ،
ان لا تكون ملكاً لنفسك
وكل ما تفعله ،

مسرحية تقدمها للآخرين ،
لرفاق المقهى ،
مسرحية يحاول كلّ منا أن يثبت خلالها
انه انتصر في إذلال الآخر ...

●

في كل الحكايا حولنا ، وفي الروايات العربية ،
وفي صفحات الجرائم اليومية ،
تموت باستمرار ليلى العامرية ،
وتجن عزة ، وتنتحر الخنساء ،
وتذبح عبلة من الوريد إلى الوريد ...
أنا من فصيلة اخرى من النساء ،
من جيل آخر ،
جيل يكره العصا والسوط والقهر والاذلال ...
فلتذهب انت وقيس الملوح وعنترة إلى النسيان ،
لقد حزنت لأجلك أكثر مما يليق بانسانيتي ... وانانيتّي !

●

أريد ان أقول لك ،
أيها « القبضاي » المتخم بذكريات أجداده
أصحاب الشوارب والقبضات الضخمة
كالهراوات في وجوه نسائهن

اني كسرت خلخالي وقيدي وسجاني ،
والحب ليس عملية ترويض في سيرك ،
فدع سوطك جانباً واسمعني :
أحببتك لأني اخترت ان أحبك ،
وسأكف عن حبك حين يحلو لي ...
وقد كففت !.. وقد أتذكرك أحياناً ...

●

ها أنا أركض ... أطير كفراشة
ترسم بجناحيها خط الافق .
اشم رائحة الزعتر البري ،
أطير من كهوف الماضي العفن،
إلى براري الحرية ...
آه كم أنا قادرة على أن أكون حرة ،
حرة ، حرة ، حرة ،
(حرة حتى العبودية للحرية ؟)
ها انا أطير بعيداً ،
افتقد عذابي بك !
لماذا ؟ وانت ، هل افتقدت قط ،
سعادتك بي ؟..

١٩٧٤

كأني مت ... يا غريب !

كأني مت ...
فقد سكن الوجع
وتعانق الشقاء والفرح متواطئين
وخرجا من مسرحي
ولفظ الحب أنفاسه
بعد ليل احتضار طويل

●

ولكن ، كأني مت
وهذا الفجر يحيق بي
من دون أن يهمس لي بشيء
وعما قريب تتسلق الشمس جرحي

في طريقها الى اختراع يوم جديد
كأني مت ... لا جديد .

●

كأني مت ...
لا أترقب لقاءك
لا أترقب فراقك
لا أشتهي عناقك
لا أشتهي خصامك
لا تفسير لدي
لا تفسير لديك أشتهي سماعه
لقد ولد حبنا كبرق
ورحل كبرق .

●

ولكن ، كأني مت
والعشب في الحديقة عاد عشباً
ولم يعد كوناً من غابات السحر
والأشجار عادت أشجاراً
ولم تعد دروباً الى مدن العجائب
وحتى الطائر
الذي احتضر قليلاً

ثم مات للتو على نافذتي
ليس أكثر من جثة طائر
ستفوح منها رائحة نتنة
حين يحمي النهار ...

●

كأني مت
اقرأ صحف الصباح بلامبالاة
وأطالع الاعلانات عن المنشطات الجنسية
والدواليب المحروقة وصور القتلى
من دون أن يصيبني ذلك التوهج اليومي
بالسخط أو الرضى
وجسدي لم يعد أسلاكاً مشدودة
تومض كل ثانية ضوءاً وناراً
وتلتهب حتى الانصهار ووجع التمزق

●

كأني مت
وأستطيع أن أستعيد ذكرى جسدك
عضلة عضلة
من دون أن يختلج جسدي
شهوة أو غيرة أو غضباً
وأستطيع أن أستعيد

ذكرى ضحكاتنا في الغابات
من دون ان أحن أو أغص
وكل أصواتنا وهمهماتنا القادمة من الماضي
أسمعها ،
كما يسمع ميت تحت التراب
ضحكات المارة المجهولين في الشارع المجاور .

●

كأني مت
كأنك كنت حقاً من بعضي
وحين قتلتك في نفسي
لم أكن أدري انني انتحرت

لندن – فجر ٢٩ ايار ١٩٧٥

حب الرجال كالماء في الغربال ؟

ها أنا أقلب الصفحة العتيقة ..
وفي صفحة جديدة ،
أكتب من أول السطر :
أحبك . أحبك . أحبك

●

لا تاريخ لي قبل عينيك
لا درب لي غير برقك
لا وطن لي غير جسدك
لا توقيت لي غير نبضك
لا خبز لي غير قمح راحتيك

●

ولن أهرب من حبك المفترس ...
ولتشهد أنفاس الربيع الأولى علي :
فوق رصيف الرضى ،

أمد لك جسدي ...
وباستسلام سنبلة لحد المنجل
أمنحك !..

●

ولن أهرب من حبك المفترس
ولتشهد شرايينك :
يتدفق دمي اليها ...

●

ولن أهرب من حبك المفترس
فالمسافة بين جرحي ووجهك
ليلة انتظار ...

●

... فارتدِ حبي ..
وأخلع ذاكرتك

●

ولن أهرب من حبك المفترس ...
تستطيع العجائز ان تثرثر :
« حب الرجال كالماء في الغربال » ...
تستطيع الأمواج أن تثرثر :
كل كلمات الهوى ،
تمحى — لا محالة — عن الرمال ..

فليكن ما يكون :
أحبك . وأهلاً بالزلزال .

●

... ولن أهرب من حبك المفترس ...
وتحت شلال روحك النقية ،
أغسل وحل شكوكي ..
أنا امرأة الرفض والجنون ،
أخرج اليك من غابة العراء والغربة ،
فدثرني باليقين ..
وخذني إلى قلبك المعبد ..
وامسح عني غباري وزنزانة مخاوفي ..
فالفرح يولد على أصابعك ،
وغدي يشرق من ضلعك ..

●

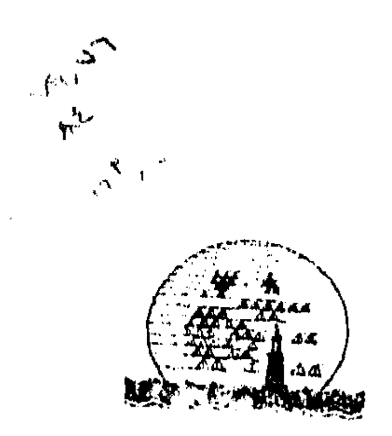
... ولن أهرب من حبك المفترس
فليعتقلني حامك .
ولتطاردني رغباتك .
سأشهر عليك استسلامي ..
وأطلق عليك حبي ... حبي ... حبي .

ليلة ٣١ آذار ١٩٧٥

الفهرس

الاهداء ٥
هاتف ليلي ٧
صباح الحب ١٣
لقد اخترقتني كصاعقة ١٩
وأعطنا حبنا كفاف يومنا ٢٩
وأحبك أكثر من ... ذنوبي ٣٥
أزهار الجنون الليلية ٣٩
صرخة ٤٤
حينما يكون قلبك فراشة ٤٥
عصفور على الشجرة خير من عشرة في اليد ! ٥١
فراقك مسمار في القلب ٦١
كلمة منسية ... لعينيك ٦٧
رافعة علم نزواتي بلا حدود ٦٩
وها أنا أنساك .. ٧٧

وأنا شريدة في وهج الربيع	٨٢
أعلنت عليك الحب	٩٢
وحده حبيبي الحقيقي	٩٨
معك عرفت أن الأرض مسطحة	١٠٤
أيام بين الجمر والرماد	١١٣
كم أحب أن أحبك	١٢١
أسافر ... وفي حقائبي ذكرياتنا	١٢٦
عزف «غير منفرد» على عود الشوق	١٣٣
وأشهد ضدك أمام محكمة الليل !	١٣٧
افتقد عذابي بك ؟	١٤٤
كأني مت ... يا غريب !	١٥٢
حب الرجال كالماء في الغربال ؟	١٥٦



غادة السمان في «أعلنت عليك الحب» تقف في الصف الأول من الذين استطاعوا أن يخرقوا جدار الوهم الفاصل بين النثر وبين الشعر.

نواف أبو الهيجاء – «السياسة» الكويتية

نموذج مبدع لأدب البوح العاطفي الرفيع، وتجديد للون رائع من الأدب العربي، عرفناه في «طوق الحمامة» لابن حزم وفي «مصارع العشاق» و«أخبار المحبين». وغادة من النساء العربيات النادرات، وربما الأولى، اللواتي يكتبن عن الحب دون السقوط في السوقية أو المثالية.

محي الدين صبحي – «المعرفة» السورية

الرسوم الفنية في الكتاب:
الفنان رفيق شرف


منشورات غادة السمان